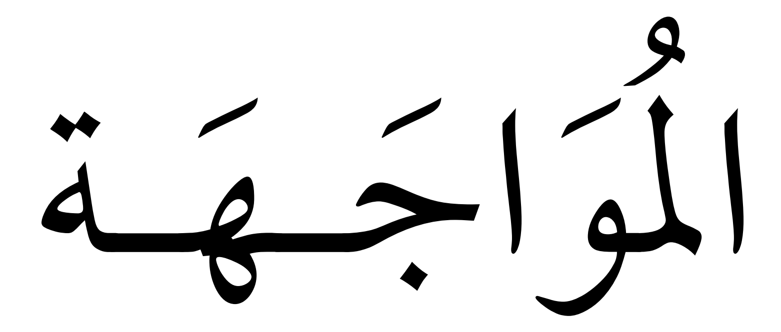


شرحٌ لمبادئ الإسلام العُليا ذات العلاقة بمصير الأمّة المشترك، وحاجةُ الشعوب لِفَهـم مَبْدَأ القَواسـم المشتركة بَعيداً عن التَّحريش السياسي والفئوي والطائفي والمذهبي والعِرْقِي والحزبي والقبلي... وهلمَّ جراً، ووضع أُسس العلاقة العالميَّة بين الأمة الإسلامية والأمم الأُخرى من جهة، وبين المُسلمين فيما بينهم داخـل الخيمة الإسلامية الجامعة على أساس حقيقة الديانة والتَّدين الذي دَعَا إليه سَـيِّدُ الأمَّـة ومُرْبِيهَـا ﷺ وإبـراز أسباب الصراع والنزاع والتحريش.. وكشف الجهات المستثمرة له في الشعوب وطـرح الحلـول المناسـبة إن شاء الله لمعالجة هذه الظاهرة قدر الاستطاعة والفهم المحدود ... ومن الله التوفيق .

بقلم خَادمِ السَّلف

أَبْو بَكرٍ العَدْنِي بن عَلِي المَشْهور

المطلع القرآني

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ. قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

[سورة الأعراف: ٢٦-٣٠].

الإهداء

إلى عُلَماءِ الأُمَّة الإِسلاميَّة..

إلى حُكَّام العَالَمِين العَرَبِي والإسلامي..

إلى زُعَمَاء الحَرَكَاتِ الدِينيَّة: فئويَّة، وحزبيَّة، وجماعات، وجَمْعِيات.

إلى رُموزِ المؤسسات والمُنظَّمات رِجَالاً ونِسَاء.

إلى قَوَافِل أمَّة التَّوحيد بطرفيه: الأساسي والسياسي.

إلى حَمَلة الورقة الأخيرة في مرحلة التحريش المعاصر بين السُنَّة والشيَّعة، وما تَفرَّع عنهما من سُنّة مُصنَّعة، وشِيعة مُقنَّعة.

إليكم جميعاً: المُوَاجَهةُ الصَّادِقة، دُون إِفْرَاطٍ ولا تَفْرِيط.

المؤلف...

الشُّروع.. المَشْرُوع

بعد شُكر الله وحمده، والصَّلاة والسَّلام على نبيه وعبده ﷺ وعلى الآل والأصحاب من بعده ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين...

وبعد..

فإنَّ نظرةً فَاحِصةً لواقعنا المعاصر من وجهة نظر إسلاميَّة حُرَّة مجردة عن التكتل والتمذهب السلبي، تبيَّن بوضوح فشل الواقع الإسلامي المُعاصر وشُمول ضبابيَّة الرؤيَّة من خلاله نحو المستقبل وفساد قراءتنا كمسلمين لتاريخنا الماضي الأصيل.

وحتى لا أكون خيالياً فالقراءة المتأنية لخريطة العالم العربي والإسلامي المعاصر وما يدور فيه وعليه من صراع دموي، وتناحر فئوي وحزبي وتياري، وتنافس مذهبي ولا مذهبي، واستتباع آلي لقشور العالم الغربي ومظاهره السلبية أكبر شاهدٍ على صحة ما أشرنا إليه.

فنحنُ في هذه الحَقَبة من تاريخنا المعاصر نشهد تناحر المُسمَّيات: سَلفيَّة، صُوفيَّة، سُنيَّة، شِيعية، حِزْبية، دِينية، عَلْمَانية، حُكُومات، مُعَارَضة، وقِسْ على هذه التكتلات المتصارعة من مواقع المؤسسات الرسميَّة والشعبيَّة حتى تصل إلى الجمعيات والنوادي والفِرَق الرياضية وحتى إلى المساجد.. وكلَّها تعمل لصالح مبدأ التحريش وتفعيل الصراع والمنازعة.. تأكيداً لسابق نبوءة الرسول ﷺ في أمته من قوله: «**لتنقضنّ عُرى الإسلام عُرْوةً عُروة، كُلَّما نُقضتْ عُرْوة تَمسَّكَ النَّاس بالتِّي تَليها، أوَّلها نَقْضاً الحُكم، وآخرهنّ الصَّلاة، ورُبَّ مُصلٍّ لا أمانةَ لَهْ**»[1].

والغارقون في حَمْأة هذا الصراع هُمْ مجموع ضَحَايا ثقافة الهزائم في المرحلة المعاصرة ممن تَوارَثُوا الحقد الطَّبقي أو الاعتقادي أو الانتمائي أو الطَّائفي أو القبلي من خلال ما ترسخ من مُجريات الحوادث التاريخيَّة قريبة أو بعيدة، وما أَثْمَرته معارك الصراع بين المنابر والجماعات والفئات والحكومات والأحزاب في ميدان التنافس المتنوع.

---

(1) أخرجه أحمد ، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال الحاكم: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه.

ولا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال إنصاف مجموعة ضد مجموعة أخرى أو حتى إيضاح الحُجة بـالأخرى إذا ما نحن جعلنا الرُّكام الفكري والثقـافي والاجتماعـي المكتـوب والمتـداول بحـقٍّ أو باطـل هـو الفيـصل والمَخْرَج للأمة من هذه الأزمة بل لو فعلنا ذلك لطالـت الغُرْبـة واتـسعت الكُرْبـة.. وهـذا مـا هـو متوقـع وكائن..

ولأن هذا الصراع المفتعل -كـما سـبقتْ الإشـارة إليـه- إنـما كـان رُكامـاً انفعاليـاً لمجريـات الحـوادث والتَّحوَّلات، فالتَّوقف الواعي ولو بعض الوقت لما نحن بصدده من بعثة المُصْطَفَى ﷺ وما ترتب على هـذه البعثة وما تَلَاها من جديد المعاملة ولُغة التخاطب الإسلامي خـلال مرحلـة حيـاة رسـول الله ﷺ في مكـة المكرمة ثلاثة عشر عاماً تقريباً، وما ترتب أيضاً بعد ذلك من انتقاله ﷺ إلى المدينة المنورة، ومـا اسـتجد مـن فِقْه المعاملة ولُغة التخاطب وما تكون من هاتين المرحلتين الأساسيتين من ثوابت وقواعد وأسـس منهجيـة يَدْعَمُهَا الوحي الرباني والعِصمة النبويَّة كَوَّنت مدرسة شرعيَّة أبويَّـة نبويَّـة ذات نمـطٍ عـالٍ مـن الأخـلاق دَمَغَتْ مرحلة الجاهلية ونقائضها المتنوعة وحددت أسلوب المسيرة الإسـلامية إلى يـوم الـدين.. أو بمعنـى آخر وضعت قواعد المعاملة الأبوية النبويـة الـشرعية ودمغـت التعامـل المتـداول لمـنهج الأنويـة الإبليـسية الوضعية، كما جعلت أساس المعالجة لكافة الأمور والاختراقات سُلوك ومواقف من لا ينطق عن الهوى ﷺ أكدَّ القرآن هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيراً**﴾[1].

إذا توقفنا هنا ولو قليلاً من أجل الإطلاع والاستطلاع فلا شكَّ إن توقفنا كفيـلٌ بفـتح ثغـرة إيجابيـة في الجدار الأملد الخطير، هذا الجدار أو الحـاجز النفـسي والفكـري الـذي بَنَـاه الـشيطان بوسـائله ومـسائله وفسائله لتدمير الإنسان وقتل عنصر خيريته في الحياة، ولهذا البناء السلبي شـاهدٌ قـرآني يـشير إلى بنـاء هـذا الجدار من وجوه عِدة، قال تعالى: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِـن وَرَاء جُـدُرٍ بَأْسُـهُمْ بَيْـنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[2].

(1) سورة الأحزاب: ٢١.

(2) سورة الحشر: ١٤.

فهذه ظاهرةٌ سلبيةٌ أساسها الشيطان ومنفذوها رؤوس الفتنة وأقماع التحوّلات، ومنهم «بَنُو إسرائيـل» أقماع الفِتن الشاملة عبر التاريخ[1]، لقد كانت عِلّة بني إسرائيل تبنيهم لظواهر الانحـراف في رغبـات الطَبْـع ومعارضة ظواهر الالتزام في توجيهات الشرع، وهذا ما عَبَّر عنه ﷺ في بعض أحاديثه بـ(دَاءُ الأُمـم)[2] وداءُ الأمم ليس خاصاً باليهود، ولكن اليهود كانوا هم أساس هذا الداء وتسييسه في الإنسانية.

ولأنّ هذا الداء قد استفحل في أمة التنزيل بالخصوص، وصار جزءاً لا يتجزأ من سلوك قادتها وعلمائها ومؤسساتها فإن إعادة النظر في مجموع التراكمات السلبيَّة وتَحْجِيم ثغـرات الفـساد واجـبٌ شرعـيٌ يَقْتَـضِيه الحِرْصُ الإسلامي ويَفْرضه علينا استفحال البَغْي الهُلامِي الإعلامي.

ويتلخَصُ الواجبُ الإسلامي في تذكير من يتذكَر ثَوابَت العلاقة الإسـلامية الـشـرعية بـين المـسلمين ، وكَشف زَيْف البَغْي الذي نَسجته العُقول الأنويَّة الوضعيَّة، ومناقشة النفوس المتعصبة للتخلي عن ما ورثتـه من التعصب الانفعالي أمـام الاختلافـات الفرعيـة في القـضايا والمـسائل العلميـة.. أو المواقـف الـسياسية والاجتماعية.. وأن تَعْتَرَف لدى ممارستها له إنما هو حَظُّ الشيطان منها، وليس الغِـيْرَةُ عـلى الـدِّين أو الغـيرة على الوطن أو الغيرة على المبادئ كما يعبَّر الكثير من الناس عن ذلك.

ولأجل تحقيق هذا المبدأ الإسلامي السليم علينـا أن نُعيـد الإسـلام بذاتـه متمـثلاً في مواقـف وسـلوك ودعوة القدوة.. الحسنة النبي المعصوم الذي كان لنا في مسيرة التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل خـيرِ هـادٍ وداعٍ مأذون ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللهِّ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾[3].

والتعمق الواعي في هذه الذات المميَّزة وما يَخُصُّنَا فيها من معاني الاهتـداء والاقتـداء.. فـلا اهتـداء ولا اقتداء بالذَوات الأُخرى إلَّا إذا كانت تَعْكِسُ هذا المنهج الأبوي النبوي ولو بمقدار..

---

(1) هذه المسألة دقيقة التناول في فقه التحولات حيث ثبتت العلاقة بين (بني إسرائيل) وسياسة الدَّجال العالمية في إسقاط قِيم الشعوب وإثارة التحريش الاجتماعي والسياسي والديني والاقتصادي.

(2) قال عنها ﷺ: «أصابكم داء الأمم. قالوا: يا رسول الله: وما داء الأمم؟ قال: البغضاء والحسد، لا أقـول حَالقـة الـشَّعر ولكنها حَالقة الدين، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحاببتم؟ أَفْشُوا الـسَّلام بيـنكم» أخرجـه الترمـذي (٤/ ٧٤، ٧٣) وأحمد في المسند (١/ ١٦٤، ١٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٣).

(3) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

وموقع هذه الإعادة: المنزل، والمسجد، والمدرسة، المجتمع بالنسبة للناشئة تحت منهج علمي عملي يجمع بين المثلث المدموج والمعادل الرابع، وهي: التربية والتعليم والدعوة إلى الله تعالى والاكتفاء الذاتي حيث يعيد هذا المنهج موقع الشيخ المربي في الحياتين التربوية والتعليمية مع حجز الناشئة عن فضول الكلام وترشيد النظر في سَفْسَطَات ا لإعلام.. وثمرات الأقلام..

وأما بالنسبة لبقية المجتمع من رجال ونساء فإعادة هذا الترتيب مَشْرُوط بحملات واهتمامات دائمة في كافة وسائل الإعلام ومنابر الكلام، وتجنيد العديد من طاقات التأثير على الجماهير وخاصة في مؤسسات الأنظمة وإداراتها؛ لَيْبَدأ العَدُّ التنازلي لدى المقتنعين بهذه المبادئ في مسألة الضديَّة والانفعالات المذهبية والطائفيَّة والتياريَّة والفئويَّة، ويبقى المسيِّسون لهذا الانفعال بعيداً عن ساحة التأثير ليتحقق بهذا البُعْد سلامة الشعوب من مَبْدَأ التحريش الشيطاني الهَاتِك.. ولكن هَلْ يَمْكِنُ تَحْقِيقُ مِثْلَ هَذَا الأَمل؟

رُبَّما ورُبَّما لا يتحقق، إلَّا ما هو مُقدَّرٌ ومَقْضِي، ولله المُراد فِيما أَرَاد...

المؤلف...

القُدْوَة عِنْدَنَا.. والقُدْوَةُ عِنْدَ الآخْر[1]

كانَ لابدَّ للمسلمين بكافة مراتبهم وتوجهاتهم ومذاهبهم وأحسابهم وأنسابهم أن يَعُوا حَجْم المسئولية الكُبْرَى التي اكتسبوها بارتباطهم الشرعي بالإسلام، وارتباطهم المنهجي بالنبي محمد خير الأنام، فهذه المسؤولية نعمةٌ كُبْرَى لا تُقدر بالأثمان، ولا تقرر عائداتها وفوائدها بتقدير إنسان، وإنما قد وصفها الخالق في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

إذن فالرسول ﷺ موصوفٌ بكافة الصفاتِ التي تُحافظُ على سَلامَةِ الشُّعوب والأُسَر والأفراد، ورسالته القيّمة تحمل في ثَنَايَاهَا مَبَادَئ هذه السلامة وتفصيلات تطبيقاتها.

والأمَّة المحمديَّة أمةٌ ذاتُ مميزات بين الأمم.. ولها وظائف عقدية واجتماعية وتربوية وتعليمية ودعوية، أُخْتِيرت لأجلها وتميَّزت بحملها، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[3].

فالخيارُ الرَّباني لنا كأمَّة قائمة على وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وهذا المثلث المعروض علينا من ربنا قد عَرَضَهُ قبلنا على اليهود والنصارى، وكرر العرض مرة أخرى لهم، بقوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم﴾[4].

وسواء استجاب أهل الكتاب لهذا العَرْض الرباني أم لم يستجيبوا فالشأن كلُّ الشأن في الأمة المحمدية أن تكون في مستوى المسؤولية حيث كان وجودها في هذه الحقبة التاريخية من حياة البشرية على كَوْكَب الأرض رسالة وليس استثمار.

فالاستثمار قد أبرز لنا ماضياً وحاضراً سماسرة القضايا وحَمَلَة الإفك وعصابات الشيطان وعُبّاد المال وعُشّاق الدِّماء والإماء، وعَمَارِدة الهيمنة على الرجال والنساء، وصار الاستثمار المعنيَّ هنا مشروع عالمي قائم

---

(1) لفظة (الآخر) كإشارة إلى الكافر والكفار، مصطلح استخدمه القرآن وعبّر به عن المخالف في قوله تعالى ﴿فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾[سورة المائدة: ٢٧].

(2) سورة التوبة: ٢٨.

(3) سورة آل عمران: ١١٠.

(4) سورة آل عمران: ١١٠.

على قدمٍ وساق يدفع به الشيطان من خلال زبانيته وأتباعه وأشياعه وجُنده؛ كي يجعلونه منهج حياة الشعوب وغاية مطلبهم.

وقد أثبت سيِّدُ الأمَّة ﷺ أن الخير كل الخير في السلامة وإشاعة الأمان وأن هذا الخير هو منهج الرسالات الحَقَّة ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(1).

وإن عنصر النَّجاح في إقامة العدل وإشاعة الأمن يرتكز على غرس مبدأي (الثَّواب والعِقَاب) بين الناس، وإشاعة معانيهما وآثارهما من كل الوجوه، فالغنى والفقر والنجاح والفشل والمحبة والبغض والنصرة والخذلان والموافقة والمعارضة والقبول والرد.... الخ، ترضخ في مفهوم ديننا القدوة إلى هذين المبدأين، خلافاً لما يعتقده غيرنا من حملة الرؤى والأفكار والمشارب الخارجة عن قيود المِلَّة الإسلامية.. فأولئك كما وصفهم الله في القرآن ﴿**أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾(2).

والدَّاعي إلى النار لا يتورَّع في استخدام أَشْرس الوسائل وأشدَّها ضرراً للوصول إلى مُبْتَغَاه ولو على حساب الآخرين، (**فالغَاية لديه تُبرر الوسيلة**)، أما الدَّاعي إلى الجَنَّة والمغفرة فيُراعي شُعور الآخر ويتجنب الإضرار به حِرْصَاً على حصول الثَّواب وتجنباً للوقوع في مُسببات العقاب، لأن (**الغاية لديه تُقرر الوسيلة**).. ومن هذا المبدأ الإسلامي المستقيم بَرَزَ مفهوم القدوة الحسنة عندنا.. وتفرَّد رجاله بالسُّمو على غرائز الطَّبْع وتأخروا عن تحقيق طموحات النفس مقابل تحقيق تربية النفس وموتها، ونيل ما عند الله ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(3).

لقد نشأت في المرحلة الإسلامية الأولى مواقف نادرة التكرار، قام بها نَفَرٌ من الرجال الذين آثَرُوا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، وكان لهم اهتداء واقتداء من مواقف المُشرِّع الأعظم ﷺ.. لا من سير الأحداث وتحوَّلاتها، مما يدلُّ على حدوث التغيير الأنسب في عقولهم وقلوبهم بالإسلام..

---

(1) سورة آل عمران: ١٠٤.

(2) سورة البقرة: ٢٢١.

(3) سورة النحل: ٩٦.

فالذين صَارُ من إِرْثِهم تبادل العداوة المذهبيَّة والفئويَّة والعِرْقيّة مع غيرهم داخل دائرة الإسلام باعتبار ما فرضته الأحداث والتَّحوَّلات أصبحوا أنموذجاً للفشل في الأخلاق والمواقف، ولا يمتُّون إلى حقيقة الإرث النبوي بحالٍ من الأحوال؛ بل أَجْبَرَتهم مواقفهم الذاتية أن يتعسفوا النُّصوص ويحرّفُوا الوقائع ويُبْرمِجُوا أجيالهم وُفْق السيئ من أفعالهم وأقوالهم، حتى صارت هذه الانحرافات مدارس ومذاهب تحت الخيمة الإسلامية تُسْهِم في الانجراف والانحراف باسم الإسلام إلى اليوم..

أمَّا أولئك النفر المُقْتَدى بهم والمطلق على مُسماهم بالنصِّ النبوي (الخُلفاء الراشدون) فلم يَرِثُوا ولم يُوَرّثُوا عَداوةً ولا بغضاً ولا شتماً ولا لعناً ولا نكايةً بمسلم ثبت يقينه وإسلامه؛ بل تخلوا عن حقوقهم ومراتبهم في سبيل حصول السلامة للمجموع.. ولم تكن الأحداث المتقلبة والتَّحولات المُضطربة حكماً في تكفير أو إقصاء أو بَتْر أو إشاعة منهم ضِدّ صدور الأمة وحملة أماناتها، وخاصة من وَثَّقَهَم الرسول ﷺ واختبر إيمانهم وأَشَادَ بِهم وبمواقفهم.

والذي يَعوّل عليه في مفهوم القدوة الحسنة عندنا هو ما جاء على لسان ومواقف المتبوع الأعظم ﷺ وهو أساس الإعادة الواعيَّة لترتيب الأجيال المسلمة، وأساس هذا الاهتداء والاقتداء دراسة الأحداث المكيَّة والمدنيَّة وتأصيلها كفِقْهٍ خاصٍ بالأمَّة يُطْلَقُ عليه (فِقْهُ التَّحَوَّلات في مرحلة صَدْرِ الإسلام).

ثم يليه في الدراسة مرحلة الخلافة الراشدة.. وأساسها النظر الواعي في مواقف الخلفاء الراشدين المهديين واجتهاداتهم، وتأصيل هذه الاجتهادات والمواقف كفقهٍ خاصٍ بالأمة يطلق عليه (فِقْهُ التَّحَوَّلات في المرحلة الراشدة)[1].

(1) لا مجال البتة للطعن في مرحلة الخلافة الراشدة من كافة الوجوه، فكل أحداثها قائمة على الاجتهاد المشروع، وخلفاؤها هم النُّخبة الذين حملوا صفة التوثيق الشرعي المطلق من رسول الله ﷺ، وأساس التوثيق والثقة قائم بعد التهم على توثيق المرحلة النبوية، ولا موقع للطَعن والهَمْز واللَمْز القائم على الأحداث أو المواقف الجارية منهم بعد موت رسول الله ﷺ، فلكُل حَدثٍ ما يبرره من الفهم والاجتهاد المشروع، والطَاعِنُون من أيِّ جهة كانوا هم القارئون للتاريخ الإسلامي بمفهومهم القائمة على سوء الظن وإسقاط العدالة النبوية ذاتها في أصحابه، والمتخذون من تحريف النصوص وسيلة إلى سوء الظن أيضاً في المنصوص لتتزعزع ثقة المسلمين بالإسلام كلّه، إن قاعدة فهمنا لمسألة التوثيق النبوي للصحابة نابع عن مفهوم منهج السلامة الذي تبناه رسول الله ﷺ؛ ليكون منهج الأمة من قوله «**المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**» هذا في عموم المسلمين، فكيف بمن كانت لهم مع رسول الله صحبة ومجالسة وقد قَبِل منهم رسول الله ﷺ أعمالهم ومواقفهم ووثقهم النص في مواقف عديدة؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعلم أنَّ (حَمَلَة نعرة الطَعْن واللَعْن) وإن

ويلي مرحلة الخلافة الراشدة مرحلة المُلْك العَضُوض كما سَمَاها النبي ﷺ ودراستها جديرة بالفصل بـين ما نَصَّ عليه رسول الله في مسألة القرار والحُكم، وبين سلامة الخلافة لدى أهل العلم والأخـلاق، ويمكـن تأصيل الموقفين معاً كفقه خاص يطلق عليه (فِقْه التَّحولات في مرحلة المُلك العَضُوض)، وتتحـدد القـدوة الحسنة في خلفاء العلم كما هو مَنْصُوص عليه، كما لا يُظلم من له في موقـع الحكـم والقـرار ملحـظ سـلامة وشاهد خدمة للدِّين بأيِّ وجه مـن الوجـوه، وقـد عَـرَف الإسـلام في هـذه المرحلـة تَنَفُّسَات وفتوحـات وخدمات جليلة للعلم والدعوة إلى الله تعالى.. ويأتي في مقدمتها مرحلة الخليفة العادل عمر بن عبـد العزيـز -رضي الله عنه- في موقع قرار الحكم والعلم.

إن الذين نظروا إلى الإسلام من المنازعة على موقع القرار وامتلاكه شَغَلُوا أنفسهم بما لم يَشْتَغِل بـه كثـير من الخلفاء الراشدين أنفسهم، فخَالَفُوا بهذا الاتجاه منهج السلامة.. واضطروا بلا تحفظ أن ينـدرجوا تحـت ما يُسمى (بمنهج التحريش)، وكانوا من رُوَّاده ومروجيه، وصـاروا وَلِعِـين كـل الوَلْـع بالأخبـار والآثـار والحكايات التي تخدم التحريش وتُسهم في تَجْرِيح أهل العدالة والتوثيق؛ بل جَنَّدُوا النصّ القرآني والحـديثي لهذا الغرض ذاته، وأَوْغَلُوا في كل شبهة قولية أو فعلية ليَلْصُقُوهَا بـأشرف نُخْبَـة الـصحابة رضي الله عـنهم وأرضاهم.. وكان لهم ما أَرَادُوا وحَقَّتْ عليهم وعلى أتباعهم مَقولـة أحـد الكـذابين في التـاريخ «**اكـذبوا.. اكذبوا.. اكذبوا.. فلا بد أن يبقى لكذبكم أثر!**»[1].

=كانت تحملهم المحبة والعاطفة في تفسير الأحداث أو تحملهم فُهومهم للنصوص فـإن مـنهج الرسـول والـصحابة لا يجعل من هذه الحُجج نقضاً لما أثبته ﷺ لأصحابه من السلامة؛ بل يُصبح الطَعْن والنَقْض أسـلوباً مـن أسـاليب (مـنهج التحريش الشيطاني) ولأن هذا المنهج خطير للغاية فقد تجنبه الصحابة الأوائل واستبدلوا عنه عنـد الاخـتلاف الـصمت واعتزال المخالف لا غير، وهذا ما فعلته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، وفعله الإمام علي بن أبي طالـب في أول مرحلة الخلافة الراشدة، ففي صمتهم وهدوئهم موقفاً شريفاً أفضل من مواقف أهل التحـريش، والفـصل الحـق إنما يكون يوم القيامة، فسلامة الألسنة خَيْرٌ من إطلاقها، وحفظ الأقلام أكرم عند الله من جِمَاحَها، فلا حُجة لمُغْـرِض ولا مُحرِّش ولا طَاعن ولا قدوة له من سلف الأمة في المرحلة الراشدة على الإطلاق.

(1) وصل الكذب وأثره حتى إلى الطعن في القـرآن والحـديث الـشريف.. وللأسـف لا مـن أجـل سـلامة القـرآن ومنهجـه والحديث ومخرجه، وإنما من أجل تجميع الأدلة على جُنُوح أُمَناء الملّة وانحراف سُـلُوكهم الفكـري، وللأسـف...وهـذه العبارة منسوبة لأحد فلاسفة الكفر وهو (فولتير) الفرنسي.

ومثل هؤلاء أيضاً أولئك الذين صار من إرثهم المذهبي الاختلاف المُسِفّ في فَرْعِيات العِبادات وشُبُهَات العَادات، وتتبع هذه النقائض بأسلوب وآخر لإلصاق تُهَم الشِرْك والبِدْعَة والضلالة على المُصلّين.

والذي يَعول عليه في هذا الأمر أن الاختلاف المذهبي في الفروع نموذج للسعة العلمية في النظر للأدلة والبراهين، ورُبَّما تَفرَّع عن هذه السعة بعض الفهوم التي قد يُختلف في شأنها، ولا إشكال في الأمر؛ بل إن عِلاج ما اشتُبِه فيه واختلف عليه عند الاحتكام إعادته لأهل العلم من أهل منهج السلامة لتتضح الصورة وينجلي الرَّيب ولا يُؤْبَه لأهل التحريش فيما يتناولونه إلَّا بمقدار، والمقدار هو معرفة ما هم بِصَدده في شأن الاختلاف وحُسْن الرد عليهم بما يُناسب الموقف، وترك كل ذي مذهب على العمل بما في مذهبه إن صَحَّ، ولا يلزم تكليف الآخر بمذهب غيره فيما اختلف فيه، وإنما المُلْزم للجميع رَفْع الضَغِينة وقطع دَابِر الحِقد والبغضاء الناشئة عن الاختلاف والجدل.

إذن ما هو الحل الناجع؟ إنه الارتقاء إلى مستوى فَهْمِ القَواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية.

الحَلُّ النَاجِع: الارْتِقَاء إلى القَواسِم المُشْتَركة

إنَّ مفهوم القواسم المشتركة: تَعْنِي نقاط الالتقاء بين المسلم والمسلم مهما اختلفت المشارب والمذاهب.. فالمذاهب والمشارب مَوْرُوثَات تُسْهِم في تطبيق الشريعة وِفْق الاجتهاد المذهبي ما بين اعتدال أو إفراط أو تفريط، أما القواسم المشتركة فهي منطلقات العمل الإسلامي المشترك بين المسلمين عموماً وأهل المذاهب المتنوعة خصوصاً.

والقواسم المشتركة لا تدعو إلى تغلّب مذهب على آخر، ولا تُلزم أحداً بالانطواء في مذهب غيره، وإنما تضمن حقوق المعاملة الشرعية للمسلمين في دائرة الإسلام والإيمان والإحسان، وتقريب وجهات النظر في الثوابت العليا.

إنَّ مِنْ (فِقْه الهَزَائم) الذي تَوارَثَتْه الأجيال (منهج التحريش) داخل الخيمة الإسلامية، وفقه الهزائم هو المَعْنِي في قوله تعالى ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[1]، فَلُغَة المنازعة لغة تُؤدِي –بلا شك– إلى الفشل والإحباط، وتفتح للشيطان ثغرة الاختراق للصفوف وتشتيتها، وقد فَعَل.

وإذا كان البعض ينزل الآية بأنها تخصّ الحرب وعدم المنازعة من داخل المعركة، فالمعنى – والله أعلم – قد يتسع ليشمل الحرب الإعلامية والكلامية، من حرب الإشاعة والإرجاف، وحرب التحريض والخدعة كما قال ﷺ: «**الحَربُ خُدْعَة**»، فحيثما كانت المنازعة فهناك الفشل والذوبان في الغير، والغير هنا ليس المسلم، وإنما هو المستثمر الأصلي للنزاع (إبليس الرجيم).

إن فقه الهزائم وتكريس مبادئه في الخيمة الإسلامية قد أسهم في الإجهاز على قرار العلم بعد فقدان الأمة قديماً مع مرحلة المُلك العضوض قرار الحكم[2]، فالحكم أساس العدل من كل الوجوه، وهو العنصر

---

(1) سورة الأنفال: ٤٦.

(2) يستغرب البعض من إشارتنا لهذه المرحلة بأنها نقضٌ في الحكم.. حيث يعتبر بعض المؤرخين أنها مرحلة إيجابية من وجوه عدة.. وكان الكثير من قادتها وساستها يؤدون دوراً هاماً في الجهاد، وبناء دولة الإسلام ، والحقيقة التي لا غبار عليها أن تعبيرنا عنها إنما هو نقل لما أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم وليس النظر في واقع الحال وإنجازاته وكانت قضية الإنجازات وثمرات النجاح في تحقيق مطالب الشعوب وسيلة الكثير من القادة والساسة لقبول المرحلة على عِلَّاتها.. وربما أن هناك بعض

الفعَّال في شروط النَّجاح لأيِّ مشروع جماعي، وقد حصل –وللأسف– نَقْضٌ خطير في مستواه الشرعي لينتقل فجأة إلى المستوى الوضعي –وليس هنا موضع مناقشتنا لأسباب ذلك– وإنما نُشير إلى حديث رسول الله ﷺ المؤكِّد حقيقة النقض في قرار الحُكم: «**لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي تليها: أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة، وربّ مصلٍّ لا أمانة له**».

لقد ثبت بالدليل القاطع أن المِلَّة الإسلامية مقرونة بسلوك النبي ﷺ غير منفصلة عنه ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1]، ومن سلوك النبي في تطبيق الإسلام رفع مستوى أتباعه عن النظر السلبي في الجزئيات المفرِّقة كيان المجموع؛ بل أدان المشتغلين بهذه الجزئيات ووصفهم بأبشع الوصوف ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾[2].

ويُشير القرآن في كثير من بلاغاته إلى ضرورة الاعتناء بالقواسم المشتركة القائمة على العمل المجموع، وينوّه بفشل أهل الكتاب لما اختلفوا في جزئيات العلم وتفرَّقوا في فهم الدين، فقال: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**بغياً بينهم**﴾ إشارةٌ واضحةٌ لخطورة الصراع الطَبْعِي وشَرِّ الاختلاف في الدِّين[4].

الأحاديث المشيرة إلى ذلك طلب السلامة ودرءاً للفتنة.. إلَّا أن بعض الأحاديث الشريفة يجب أن يعرفها الناس بأنها عين الحقيقة المقررة لحال المراحل والتحولات.. وليست منجزات الحكام ولا رضاً الشعوب في بعض الوجوه والأحوال ولكل مقام مقال.

(1) سورة آل عمران: ٨٥.

(2) سورة الأنعام: ١٥٩.

(3) سورة آل عمران: ١٩.

(4) ويمكن تقسيم مدلول السلامة في مراحل الحكم الإسلامي على الوجوه التالية:

١- مرحلة السلامة المدعومة بالوحي والنبوة.

٢- مرحلة الخلافة الراشدة القائمة على الاجتهاد والموافقة العامة من أولى الحل والعقد وعلى نص الرسول بأن الخلافة ثلاثون.

٣- مرحلة الملك العضوض.. وتشتمل المرحلتين الأموية والعباسية.

فالإشكالُ الأول والأخير ليس في المادة العلميَّة الشرعيَّة، وإنما في الأوعية الحاملة لها، فالأوعية إنما تعدُّ إعداداً لحمل هذه الأمانة كما أعد رسول الله ﷺأصحابه وهم الذين تميَّزوا من بين عامة الناس بهذا الإعداد:

أبٌ يتلقى عن أبيه وهكذا فيالك من آباء كرام وأجداد

ولم تنتكس مسألة الإعداد لحُمال الأمانة إلا في بداية مرحلة الغثاء المسيس، والملاحظ في عالمنا المعاصر انعدام الإعداد لحُـمَّال الأمانات على الوجه الإسلامي العالمي الصحيح لانعدام المنهجيَّة الرُّباعية.. أو ما يسمى بالمثلث المدموج والمعادل الرابع[1] .. أما الذي يوجد في عالمنا منذ بداية عهد الغثاء المسيس تخريج أو تفويج حملة شهادة الخدمات في شَتَّى المجالات؛ بل حتى في دراسة المعاهد والأربطة التقليدية لا يخلو التعليم من انعدام بعض شروط الاقتداء والاهتداء في مفهوم بناء القدوة الحسنة على الصفة العالية الراقية التي دَعَا إليها سيّد الملَّة عليه الصلاة والسلام لما شاب الحياة من داء الأمم، أمَّا في الإعلام المعاصر فالقدوة الحسنة قد اختُرِقَت اختراقاً مشيناً بدءاً بالمسرح والتمثيل وإحسان مسألة الصورة فيه، وشروط إبرازها للمعجبين بشكل وبآخر مما حَطَّم شروط الاقتداء وسَيَّسَ مَدْلُول الاهتداء، وجعل الجميع يَخْبِطُون خَبْطَ عَشْوَاء في شَتَّى الأمور، وهذا هو ما أَثْمَرَ في واقعنا فِقْهَ الهَزَائم ومرض القلوب، نسأل الله السَّلامة.

هذا من حيث قرار الحكم.. أما من حيث قرار العلم فالإسلام في كافة العصور قد اجتهد فيه العلماء لإثبات، وأبلوا لحفظ الإسلام بلاءً حسناً رغم اختلافهم المشروع..

(1) هذا المصطلح يعني بالمثلث المدموج: التربية، التعليم، الدعوة. المعادل الرابع: الاكتفاء الذاتي.

الفِقْهُ المُغيَّب، والجِيلُ المُغرَّب

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

لقد غَابَ الفِقْهُ الشرعي من عُقول أهل الكتاب، فاستبدلوه بالفقه الوضعي، واستنزلوا به حُججاً غريبة لأنفسهم كما يبرروا ما هم فيه وما هم عليه من الجهل المركب والعمى المفتعل فأورثهم هذا الاختيار والتحكم والتهكم ما يُطْلَق عليه (بفقه الهزائم)، وهو فقه المبررات، وهذا الفقه جزء مما سَمَّاه رسول الله ﷺ بـ(**داء الأمم**)، وما سماه أيضاً بـ(**الحالقة**) التي تحلق الدِّين، وقد تضافرت الأمة الخاتمة اليوم بعد وقوعها في برنامج الاستتباع المسيس على توسيع مشروع الشيطان الأنوي واستثماره في حقول الأمة الإسلامية استحساناً وتقليداً لمن ذَمَّ الله استتباعهم وتقليدهم.. ولهذا فقد دمغ القرآن تشابه هذه القلوب وكشف سوء حالها في الأمتين، الأمم السابقة للإسلام والمستتبعون من أمتنا لرؤى الكفار وأدوائهم في الثقافة والتربية والإعلام وغيرها، ولم يَنْجُ من هذا الاستتباع أحد بما فيهم رموز الحركات الإسلامية المعاصرة وأشدَّها حِرْصاً على الإسلام والأسلمة، لأن مواقع القرار بعد وقوعها في برنامج الاستتباع المسيَّس مخترقة من كل وجوهها.

نعم إن مواقع القرار مخترقة، ولدينا في مرحلتنا جهتين أساسيتين اخترقتهما السياسة العالمية:

الأولى: المدرسة التيارية الفئوية:

وهي مدرسة التدين السياسي القائم على مفهوم (السلفية)، وقد برز في الحياة الحديثة كرافد أو داعم للقرار العربي القبلي بعد زوال مرحلة الخلافة الإسلامية الشرعية.. والخلافة الإسلامية الشرعية كانت تحمي المذاهب الإسلامية المعروفة والتصوف وآل البيت، فكان لابد للضد أن ينتصر في الواقع المحلي على إزاحة هذه الموروثات:

الخلافة، المذهبية، التصوف، آل البيت.

(1) سورة البقرة: ١١٨.

وعليه أيضاً أن يحقق الانتصارات السياسية والإعلامية والاجتماعية كـي يُخْفِـي آثـار التـاريخ القديمـة ويُقِيم عليها النكير والتشويهات ويحجّم العيوب والتراث.. ويلجأ إلى ركن شـديد يؤيـده عـلى هـذا المنجـز الخطير، وكان الركن والسند لهذا التوجه الجديد هو النظام العـالمي... وهـذا هـو علَّـة الاخـتراق.. إن فقـه التحولات يبرز للراغبين في فقه المراحل وعلامات الساعة معاني الاختراق.

الثانية: المدرسة الحزبية المؤسلمة:

وهي مدرسة التدين الحزبي القائم على الكتلة والعمل السياسي المبطّن، وأساس ظهورها في العالم العربي والإسلامي رغبة المتدينين من أهل الإسلام في تعويض القرار بمثله بعد فقـدان قـرار الخلافـة الإسـلامي.. وكان قاسمهم المشترك (الحكم لله)، وكانت الأوعية الحاملـة لهـذا الحـماس الإسـلامي هـي مبـدأ (الحزبيّـة والأحزاب)، والحزبية والأحزاب هي (إحدى البدائل) المسيسة في مرحلة الغثاء والوهن؛ لتكون تحت سَمْعٍ وبصر القُوى المستثمرة لقرار الشعوب، وكان الظرف القائم مُلْزَماً للحـركيين أن يخوضـوا معركـة المرحلـة بالوسائل المتاحة ومنها (تشكيل الأحزاب الإسلامية)، فتكوَّنت هذه البؤرة المؤسلمة مـن حيثيـات الاسـم والفكرة والحماس الديني، واستطاعت أن تؤدي دوراً نسبياً في لفت نظر الشعوب المغلوبة عـلى أمرهـا.. إلَّا أنها وقعت في مفهوم التسييس المبطَّن لما انفرط عقد قرارها عن العقلاء والعلماء والأثبـات؛ لتُـصْبِح وسـيلة من وسائل الصراع الداخلي في الخيمة الإسلامية ذاتهـا، وانـشغل الحزبيـون أنفـسهم بتفعيـل الـصراع ضـد المدرسة التقليدية والمنسوبين إليها، والتأثر المباشر بالمدرسة الحديثة على غير ضوابط واعية.. واختلط الحابل بالنابل في دوائر الفكر الحزبي.. ولم ينضبط فيه منهج السلامة الشرعي بقدر ما اخترقه بصور متنوعـة مـنهج التحريش كأسلوب لا مفر منه في الفكر الحزبي المسيَّس.. وللأسف..

كما أن المدرسة الدينية الحاملة مسمى السلفية.. كان لها دور كبير في اختراق الحزبيـة ذاتهـا مـع كونهـا لا تلتزم لها، وإنما تلزمها الارتباط بالفكر والمنهجية، فكان الفكر السلفي هو في أغلب الأحوال قائـد المدرسـة الحزبية المؤسلمة والمهيمن على سَيْر قراراتها وتوجهاتها وأساليب دعوتها الدينية.

ومع هذا وذاك فهذا لا يَعْنِي فشل المدرستين أو فساد جدواهما في الواقع المُحَطَّم، وإنما كان لبروزهمـا في الوطن العربي دور هام لتنبيه مدرسة التصوف والمذهبية وآل البيـت لتعـديل مـسارات الفكـر والعلاقـات القائمة لدى البعض على نماذج من الإفراط أو التفريط من جهة، ومن جهـة أخـرى فتحـت أعـين الـواعين

داخل هذه المدرسة المباركة على ما تدبِّرُهُ في الخفاء محاضِنِ الإفك طيلة المراحل المسيَّسَة لإضعاف دور المنهج الأبويّ ورجاله.

كما كان لهما موقع خاص لحفظ شرف الديانة والتدين أمام القوى الفاعلة في المرحلة والعاملة من وجوه كثيرة على إسقاط القِيم وإفساد العلاقات الشرعية في الأمة، ولكنها مع هذا وذاك لم تحمل للواقع معالجة جذرية ولا حلاً علمياً أو حتى بديلاً عملياً عما سُمي بخرافات الصوفية بقدر ما تحركت هذه القوى في مساحة محدودة كما سُمِحَ لها وهي مجابهة المدارس التقليدية وإلهاب حماس التغيير والشعارات في الشعوب ثم العودة مرة أخرى إلى حظيرة المساومة في القضايا مع وكلاء الحركة الاقتصادية والتربوية والتعليمية، وهلم جراً...

إن القوى الحزبية والفئوية لا تحمل برنامجاً إسلامياً متكاملاً باعتبارها الجهة الإسلامية الأفضل -كما تتحدث عن نفسها- إنما هي كغيرها من أحزاب المراحل والتكتلات تتحدث عن الإسلام كورقة لا كواقع، بل ربما سَيْطَرت قُوى الواقع المسيَّس على هذه الأحزاب فجعلت منها ورقة إسلامية تروض الشعوب وتَمْتَصُ حماسها المُشتت ليصب في القوالب المضمونة والمواقف المأمونة، وقد لا يُفْهَم كثير من أعضاء هذه الأحزاب حقائق هذه اللغة، لكن الذي يفهمها ويتغاضَ عنها هم المهندسون البارعون، وهم المعنيون بمثل هذا التحليل والتعليل.

إن مرحلتنا المعاصرة قد أغرقتها ضبابيات الثقافات المتنوعة، وعَتَّمت على الشعوب والقادة رؤية الماضي والحاضر والمستقبل، ولا زال طَيُّ المسافات نحو المزيد من الاستتباع لعمايات الأمم وتخبطاتها الفكرية تسير حثيثاً في شعوب الوحي الممزقة.

ولعل حجة الكثير من دُعاة التقدم والتطور هو اللحاق بركب الحضارات وتجاوز مراحل التخلف والجهالة، ولكن الصورة التي يتذرع بها الكثيرون من هؤلاء إنما هي صورة مسيّسة وتقذف بالمستتبع لها نحو نار جهنم وبئس المصير.

إنَّ عامة المثقفين والمفكرين في المرحلة المعاصرة يطرحون قضية الإسلام في المرحلة كورقة عمل لتخفيف حدة التوتر الدولي والإقليمي واسترضاء العناصر ذات العلاقة بالتدين الموجّه ليمكن النيل منها واحتوائها في ساعة الصفر، ولربما كان أصدق المجموعة ذاك الذي يعمل ليحقق بالإسلام موقعاً سياسياً يطلُّ به على زرائب التسييس حاملاً أنموذجاً لا روح فيه.. فهو برغم إسلاميته لن يتأتى له ولا لغيره أن

يجرّد بالحزبية إسلامه المَغْلُوب عن مواقع الاقتصاد الربوي ولا دعوته عن التحريش والإثارة، ولا مبادئه عن التنازل الطوعي أو القسري لإرضاء المدرسة الإبليسية في شأن تحرير المرأة وموقعها من الحياة الاجتماعية.. وشأن الإعلام المرذول في العرض الصامت والمتحرك، ولا حتى في الربط الواعي بين التربية الإسلامية ومستجدات التأثيرات الحضارية الغازية .

إن الفارق الواضح بين (فقه الهزائم) الذي نتجرعه في الواقع المعاصر وبين (فقه العلم الشرعي النافع) إن الفقه الشرعي مُثبت في مؤلفات العلماء بكافة متناقضاته وقليل من يعتني به، أما فقه الهزائم فهو المُسيطر على بناء العُقول والأفكار والحياة المعاصرة والمستقبل.. وهو أيضاً المسؤول عن شُمول الخيانات المدَّبرة في علاقة المسلمين بإسلامهم وعلاقة المسلمين ببعضهم البعض، وعلاقة المسلمين أيضاً بالعالم الإنساني وثمرات علومه ومنجزاته.. وقليل من يتناول هذا الأمر على بساط البحث الواعي سواء من حملة المنهج الأبوي التقليدي أو حملة الشهادات الأكاديمية العليا، فالجميع قد شُغِلُوا عن هذا الأمر بالذي هو أدنى.. ودخلوا من أجل ذلك معركة لا منتصر فيها منهم..

إن العلوم النافعة دينية ودنيوية ليست حَكْرَاً على أحد بل هي قاسم مشترك بين الشعوب، وقد كان المسلمون يبذلونها لجميع شعوب الإنسانية دون احتكار ولا استحقار، وشَهِدت مرحلة الألفية الأولى انتشاراً علمياً وفكرياً هائلاً على أيدي المسلمين في العالم.

ولما جاء دور الألفية الثانية[1] وصار العالم الغربي والشرقي حاملاً لواء العلوم الماديَّة والصناعية لم يتمالك قدرته على إيجاد التوازن الأدبي، بل فرضت المدرسة العلمانية مبدأ الأنوية الإبليسية «أنا خيرٌ منه»، وسُخِّر العلم والقلم والمدرسة والمعلم والمنهج لسياسة الاستعمار والاستهتار ثم الاستثمار مع بث سُموم الاحتقار والطبقية والتحريش السياسي والاجتماعي وسَلْب الشعوب ثقافتها الشرعية وإذابتها في الثقافات الأنوية الوضعية.

لقد حَقنتْ المدرسة الوضعيّة شُعُوب الملّة الشرعية بفقه الهزيمة والإحباط واستثمروا في سبيل ذلك مراحل الاستعمار تحت غطاء البناء والإعمار ونشر التعليم النظري وعلم الخدمات، حتى خَلْخَلُوا الضوابط والثوابت ونَزَعُوا عن شعوب الديانة عِزَّتِهَا بالغيب والإيمان، وحَوَّلُوهَا إلى جدلية وسفسطائية وشكّ

---

(1) يوجد للألفية الثانية صندوق مالي خاص لدى القوى العالمية سمي صندوق دعم تحدي الألفية.. ينفقون من عائداته المالية على مشاريع العولمة ومنجزاتها... اهـ

وفصَلُوا في مدارس التعليم بين التعليم والتربية وسيَّسوا معلومات الدِّين لما فيه مصلحة المستعمر والمستثمر.

إننا لا نشك ولا نرتاب في أهمية العلم النظري التطبيقي ودوره في الحياة الإنسانية؛ بل ونعتقد أن مفهوم الثورة الصناعية قد أعطى المرحلة الحديثة شكلاً آخر وجوهراً جديداً أطل من خلالها العالم الإنساني كله على أبدع الوسائل والأسباب، وهذا هو الوجه الإيجابي في الصناعة والاكتشاف.

لقد عَبَّر النبي محمد ﷺ عن هذه المرحلة المتغيرة سلباً وإيجاباً، ووصفها بما يناسبها قبل حدوث مجرياتها مما يزيدنا ثقة في عالمية الديانة وجدارتها في تحليل أوضاع العالم قديمة وحديثة ومستقبلية، وإن على المسلمين أن يعيدوا النظر في قراءة علامات الساعة بتأنٍ وتريثٍ وحُسن تدبّر، فالعلاقات المتنوعة مجموعة في فقه خاص أطلقنا عليه بتوفيق الله (فِقْهُ التَّحوَّلات)، وهو الفقه الجامع لمهمات الركن الرابع من أركان الديانة، وقد حَانَ الوقت -كما نعتقد- لمتابعة هذا العلم الهام.. لنحل الإشكال ونفك العقدة التي طَالَ أمدها بين الناس... فالمشكلة لا تَكْمن في قضية الإسلام والإيمان والإحسان، فالكل يتكلم عنها ويدافع بقلمه ولسانه وماله من أجلها.. واختلط الحق بالباطل من فوق منابر الإسلام وتحت منائره.. ومظاهره.. ولكن الإشكال في المسألة الرابعة المسكوت عنها.. وهي ما قاله ﷺ عن فقه التحولات: «**أن تلد الأَمَةُ رَبَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالَّة رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، ولَعلَّ في هاتين العلامتين مِفْتَاحُ العَلامات الأُخرى وبَابُ الولُوجِ إلى أسرار التَّحولِ في الحُكْم والعِلم والمراحل والشُعوب، وهذا ما نحن بصدده في طَرْحِنَا المُتواصِل، وبالله التَّوفِيق.

الجِهَادُ بَينَ فِقْهِ المُقَاومَة، وسِياسَة المُسَاومَة

كان حقاً للأمة الإسلامية أن تفخر بالمقاومة في لبنان، وقد لَقَّنت أعداء الإنسانية وأعداء الإسلام درساً لن يُنْسَى في التاريخ المعاصر، وارتفعت هاماتنا جميعاً بصرف النظر عن مسألة التمذهب والانتماء إلَّا من كان من أتباع فقه الهزائم.. فالحلقات التي فُصِّلَت للجسد المتأسلم ضاقت على فقهاء القَصْعَة فلم تتسع ولم تتوسع؛ بل كان من الضرورة بمكان إدانة الجهاد المقدس وصَبْغِهِ بألوان الأرضية التي يقفون عليها.

ومن لم يتسع فقهه لشريكه في المذهب والمنهج الواحد فأنى له أن يتسع لمن خالفه المذهب والمنهج والرؤية داخل الخيمة الإسلامية؟ إن هذه المواقف تؤكد حقيقة الإصابة بفقه الهزائم وسياسة التحريش.

والجهاد المقدس قاسمٌ مشترك بين شعوب المِلَّة الإسلامية ويتسع هذا المعنى ليشمل غير الأمة الإسلامية عندما تصبح القضايا معبرة عن قواسم الإنسانية المشتركة بين الشعوب، فالشعوب كلّها تبحث عن الاستقرار والعدل، والسلام مكسبٌ عالمي بين الأمم، ولهذا يكون القتال من أجل العدل والسلام قاسم مشترك بين الشعوب.

إن عصبة العمل الشيطاني في العالم تعمل على التحريش والإثارة وتجند في سبيل ذلك جنودها المخلصين، ولو على حساب استقرار العالم كله..

لقد تمت المؤامرة العالمية فيما كان يسمى بالمسألة الشرقية على أتم الوجوه.. وكلها كانت لصالح الشيطان ومدرسته الأنوية، والشيطان الطريد يرغب في تحقيق الخيانات وتوسيع دوائرها وإنجاح مشروعها في الشعوب ليطردهم من رحمة الله إن كانوا من المسلمين.. وأما غير المسلمين من الشعوب الأخرى فليحتنكهم ويحجزهم عن الهداية، ويحقق فيهم مطلبه الشيطاني وهو الثبات على الكفر والموت عليه ليكونوا من أصحاب السعير... والكُفْرُ منهجٌ إبليس العالمي وبه يتحدَّى البشرية ويجرعهم غصصه في الدنيا والآخرة، مع أن الحق سبحانه وتعالى لم يخلقهم لذلك، بدليل قوله ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[1].

والكُفْر بكلِّ معانيه مَدْخَلُ الشيطان لإفساد منهج الإيمان والتسليم.. وخصوصاً في العقل المسلم... أو المتأسلم ليحلَّ محله (**فِقْهُ المُسَاومة**)، وغالب رجال هذا الفقه هم من (أتباع وأشياع أكلة القصعة) الذين يتحقق بهم الغُثَاء والوَهن في الأمة.. وبالغثاء والوهن «**تُنْزَعُ المَهَابَةُ مِنْ صُدُور عَدوِّكُم**»، وقد تحقق هذا

(1) سورة الزمر: ٧.

الأمر في حياة الأمة بوضوح.. ومن علاماته (الخَوَار والضعف) أمام العدوّ المشترك، ومن ثمراته قبول سياسة المساومة..

وها نحن جميعاً في أروقته وأقبيته نُناقش القضية المُحقّقة لنا السلامة مُقَابل المساومة في مَفْهُوم السلام، وتم ذلك على مَرْأىً ومسمع من الجميع.

إذن ما الذي حصل في لبنان..؟ هل هي فلتة؟ .. هل هي صدفة؟ هل هي مبيتة؟

لقد دَوَّت في أرجاء العالم وحققت نَموذجاً جديداً من فِقْه المُقاومة.. ولكن ليس بالمداولات والنقاش والحوار، وإنما بالتدبير وحُسن الالتزام ونجاح الإعداد والاستعداد..

وهذا ما يجب علينا أن نعتزَّ به ونؤيّده.. وندعو إليه.. سواء في عالمنا الإسلامي المشتت، أو في دوائر العمل الحكومي والحزبي، أو في أروقة المدارس المذهبية والفئوية المتصارعة..

فالنَصرُ الجهادي.. لا ينطوي تحت صراع المذاهب.. ولا يُسْتَغَلُ أيضاً لنصرةِ مذهبٍ على آخر، فالجهادُ حالةٌ طارئةٌ ارتبطت بالزمان والمكان والأسباب.. أما الصراع المذهبي فرُكَامٌ تَاريخيٌّ لا علاقةَ له بالنصرة أو الهزيمة.. ومن استغل انتصار المقاومة لترويج مذهب معين ضد آخر فقد سلك مسلك التحريش، ومن أَبَى الاعتراف بانتصار المقاومة لاعتبار المذهب فقد نهج أيضاً منهج التحريش، والحقيقة أن يسلم المرء من طرفي الإفراط والتفريط لينظر إلى الانتصارات باعتبارها مكاسب إسلام ضد عدو مشترك، وليست مكاسب مذهب ضد المخالف والمعارض والمنازع في مذهب آخر.

لقد سبقت الإشارة هنا إلى مسألة الوعي الإسلامي للقضايا، وإننا كمسلمين قد فَرَّطْنَا كثيراً في هذا المكسب الكبير حتى أننا في كثير من أحوالنا المعرفية والعلمية والتعليمية ندرس ونمارس التحريش والتشويش منذ نعومة الأظفار حتى نشيخ... وهكذا نرى آثار هذا التراكم السلبي مرة بعد أخرى في عالمنا المخدوع..

إن ما نلحظه في بعض بلاد العالم العربي والإسلامي من دمار طائفي يهلك به المسلم المسلم لأمرٌ يُخْجِلُ ويوحي بالعجز والقزمية في عالم التكتلات والتحالفات..

إن الإسلام كعقيدة وديانة لا يدعو إلى ما يفتعله المسلمون ضدَّ بعضهم البعض، بل وينهاهم عن ذلك ويشدد النكير عليهم، ولكنا عند دراسة الأمر بروّية نجد الأمة قد فَلَتَ زِمَامُهَا من قبل وليس بيدها أمر

سِلْمِها ولا أمر حَرْبِها؛ وبل لا حتى أمر قرارها ولا أمر استقرارها، بل لم يعد قرار السِلم عند وجوبه بيد حاكم مسلم، ولا قرار الحرب عند الحاجة إليها بيد مالك قرار في كافة الأوطان والديار..

لقد انتقل القرار إلى مؤسسات عالمية التوجه والهوية وبيدها وبيد من يحركها مصير الشعوب وهندسة استقرارها، وأما (المسلمون) على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم فهم طرف مفعّل يسهمون في إثارة الصراع لمصلحة المستثمرين، وحدّهم الأعلى من الوعي في العلم والفقه والمواقف لا يتعدى التعصب على ما اختلف عليه السابقون، وقد ورثوا هذا الاختلاف والتعصب فهم منه وإليه وعليه...

إن كثيراً من مسلمي المرحلة.. إنما يعملون من خلال التعصب المذهبي على إنجاز مشاريع الشيطان في أوطانهم ويسيحون الدم الحرام لينالوا به مساحة من السلطان والجاه في الدنيا مقابل مساحة من العذاب الأليم يوم القيامة، وقد أكد الصادق المصدوق ﷺ هذه الظاهرة بقوله: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**. قالوا: يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: **كان حريصاً على قتل صاحبه**»، فالحرص وحده سبب في دخول النار، لأنه لون من ألوان التحريش الشيطاني بين المصلين.

وإذا ما تحرر المسلمون من رُكام العداوة في المذهبية وارتقوا إلى مستوى المعاملة بالقواسم المشتركة، فإنهم سيكسبون النصر المرتقب إن آجلاً وإن عاجلاً..

إن ظاهرة انتصار المقاومة في لبنان.. أحد الدروس المستفادة للأمة جميعاً.. ومنها وجوب سِرية العمل، وسَدّ ثغرات الاختراق التي ينفذ منها العدو وعملاؤه.

لقد اخترق العدوّ صفوف الأمة دولاً وجماعات وأحزاب وجيوش وعتاد.... ولهذا فهم تحت دائرة التأثير النفسي للعدو المهيمن.. وأياً كان حجم السلاح والجيوش فلا قيمة لها في ساعة الصفر إذا كانت مخترقة من عيون العدو، ولهذا فإن التكتم والعمل المنظم وحُسن القيادة يُسْهِمَان في إنجاح خُطَط النصر والانتصار.

ومع أننا نعترف بعجزنا عن الوصول إلى ما وصلت إليه المقاومة في لبنان إلَّا أننا نعلم يقيناً أن مشاعرنا الإيمانية تتحد مع طلائع النصر الإسلامي أينما كانت، ونحدو الفصائل الإسلامية في فلسطين وغيرها أن يحرصوا على إنجاح مفهوم الجهاد في سبل الله بسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو إلى الداخل.. ويوحدوا آراءهم وأفكارهم، ويتجاوزوا العلل والزلل.. فللشيطان في الأمة اختراقات، ومنها.. (التفرقة والاختلاف).

المَرْأةُ.. والمُسَاوَاةُ في الحُقُوقِ، لا فِي الوَظَائفِ

الأصوات المرتفعة في مجتمعاتنا المغلوبة لم تعد تسمع لصوت حقٍّ أو من يعتقد أن لديه نسبة من حق.. أن يحاور بقية المتكلمين بالباطل أو من يُعتقد أن لديهم نصيباً منه.. كما أن الصوت الخافت في الواقع المشحون بالضجيج يذوب ويتلاشى قبل أن يستقر في أُذن مستمع.. اختلطت عليه الأصوات.. والمرحلة مرحلة مُغَالبة حيناً بالأصوات وحيناً بالتصويت.. وولد المئات منا في هذا الضجيج ونمت شعور أبدانهم وجلود أبشارهم تحت تردداته ونغماته وصَدَاه.. حتى ليكاد الفرد من بني آدم أن لا يجد متسعاً للنظر في عمق ماضٍ ولا تزييف حاضر ولا تسويق مستقبل.. وإن كان له شيء من نظر ما.. فلا بد أن يأتي من خلال هذا الضجيج ومخرجاته.. ولأن هذا الضجيج صار مدرسة لها رجالها ومشايخها ومستثمروها وأتباعها فالجميع من هؤلاء يصرّون أن لا يستثمر مخلوق ما ضجيج المرحلة في غير ما رُسِمَ لها..

وتسقط الضحايا كل يوم ويتهاوى المحبطون رجالاً ونساءً خلف أسوار التجارب والمغامرات يتحسسون منافذ النجاة بعد شعورهم بالحقيقة المُرَّة، ينادون الحُشُود والجنود: إنها خُدْعَة.. إنها حِيلَة.. إنها غَدْر وإِفْك.. احذروا الضجيج.. إن خلف الضجيج مستثمرون له على حسابكم.. على حساب حاضركم.. على حساب مستقبلكم.. على حساب مصيركم..

ويأتي الجواب على لسان الشاعر:

لقد أسمعتَ لَوْ نَادَيتَ حَيَّاً	ولَكِن لَا حَيَاةَ لِمَن تُنَادِيْ
ونَارٍ لَوْ نَفختَ بها أَضاءتْ	ولَكِنْ ضَاعَ نَفْخُكَ في الرمادِ

وها هي المرأة.. الضحية الأولى في تاريخ الطموح.. والسلّم المتحرك في سوق النخاسة.. والمخلوق المحبب في شهوات الذات.. والكل مستثمر لهذا المثال والرمز -وكما سبق القول- الضجيج لا يسمح بالإفصاح ولا بالاستماع.. وربما صار العقل والعدل في قواميس مرحلة الضجيج أن تستمع إلى الضجيج.. أو أن تصم أذنيك تماماً.. وكل هذا على حساب عِزّتك ووَعْيَك ودِيْنَك إن كنت أهلاً لذلك.. وإن لم تكن كذلك.. فما أنت إلَّا سخرة أو بَهيمة في زرائب التهجين شِئت أم أبيت؛ بل ربما كلنا كذلك إلَّا من حفظ الله من عِباده، وقليلٌ مَا هُم.

والمرأة قد صارت جزءاً من خُطَّة التسييس وخلطة التدنيس، بل صارت أسساً من أسسه.. وهي كذلك منذ أن لَفَتَ إبليس نظره إليها في عالم الجَنَّة ورأى فيها المخلوق الأنسب لاستثمار العاطفة وإثارة الطموح وقبول الرأي الإبليسي البديل منذ ذلك الحين، إلَّا أن حواء الأم قالت كما قال آدم ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1] وبدأت مرحلة إيجابية جديدة على واقع الكوكب الأرضي.

أما حواء المرحلة فماذا تقول.. وماذا صار يملي عليها وسواس الشيطان المطوَّر.. إنها تقول بلسان الحال والمقال: «**ربنا ظلمتنا**»، ويقول المنظّرون والمفكّرون العلمانيون: «**المرأة مظلومة في الأديان، ولابد من النظر في تحريرها وإعادة كرامتها، وأن يكون أمرها بيدها لا بيد غيرها**»، فضاعت الحقوق واخترقت الوظائف، وتحقق لإبليس مطلب الخروج بديلاً عن الالتزام الشرعي فخرجت حواء وآدم من الجنة بتغليب الطَبْع على الشرع، وخرجت المرأة عن طاعة الله في الأمر والنهي بتغليب الطبع على الشرع، وتخلت عن الحجاب ثم الحشمة بتغليب الطبع على الشرع، وخرجت عن بيتها ومؤسستها الخاصة إلى مُزَاحَمَة الرجل على غير ضوابط بتغليب الطبع على الشرع، وتبوَّأت أعلى مناصب الرجولة على حساب مناصب الأنوثة بتغليب الطبع على الشرع، ثم أدانت الشرع كلّه ونظرت إليه في طِباع الرجال وطموح النساء، فضاعتْ الديانة، وتحققت الخيانة بتغليب الطَبْع على الشرع، وهكذا دواليك.

إن كلّ هذه المواقف هي من تأثير الأنوية الإبليسية، وخصوصاً في المرأة التي لم تتلقَ التربية الأبويَّة منذ نعومة أظفارها، وهذا هو إشكالنا الخطير.

فعلَّةُ المرأة في العصر الأخير انعدام التأثير الأبوي الشرعي منذ الصِّبا، وهي أيضاً علَّة الرجل، وبهذا الانعدام برزتْ بدائل الثقافات والرؤى المتنوعة التي تعلق مع مرور الزمن في العقل المفتوح فتصبح جزءاً من السلوك والمواقف ومن المعلوم أن كثيراً من الثقافات المرئية والمسموعة إنما هي ثقافات مُوجّهة وذات أبعاد فكرية يقصد منها زَعْزَعة الثِّقة بالموروث الشرعي الإسلامي.

وبالطبع فنحن نشهد المراوغة الثقافية حول هذه المسألة، فالغالب من أبواق الحَدَاثة لا يوجهون الحرب الباردة ضد الإسلام ذاته.. وإنما يوجّهون النقد للعادات الاجتماعية المتراكمة عبر مراحل الحياة وما يطرأ من مواقف الأسرة الذاتية كموقف الرجل ضد المرأة.. وقضية الختان للأنثى.. وموقف تفضيل الذكر على

---

(1) سورة الأعراف: ٢٣.

الأنثى لدى العديد من الناس، وهذه في غالبها عادات اجتماعية يتدخل فيها المفهوم القبلي والفكري السائد فيجعلونها وأمثالها وأشباهها معول هدم الموروث خطوة بعد أخرى.

ثم يختارون النساء المتمردات على الواقع الاجتماعي والغارقات في عُقَد الرفض للموروثات، وكثير منهن من قد خَاضت معركة المواجهة في دراستها وثقافتها ومشاركتها الاجتماعية ونالتْ بهذه المواجهات شِبه مَنَاعة ضد ما يُعْرَف لدى المتحفظات من العَيب والحِشْمة المفرِّطة وغَضِّ البصر والانطواء الكامل تحت سُلْطَة الزوج والأب والأسرة، فصارت قدوة الانطلاق والتحرر عن هذه القيود سواء كانت شرعية أو كانت اجتماعية ومثال يُدفع بها في أجهزة الإعلام ومسلسلات الأفلام ومواقع الصحافة والأقلام لتُسْهِم بصورة وبأخرى في نَقْض الموروث بكل نماذجه وأنواعه، فهذه هي مشكلتنا.

والحَقُّ المشروع للمرأة مَكْفُول في الإسلام إذا رغبت المرأة في تحقيق مَطْلَبَها المشروع إذ لها حق مكفول لها ولا للرجل في غير الإسلام، فالأفكار الوضعية والقوانين الدولية والضوابط القانونية في غالبها تَوْلِيف عَقْلَانِي يتلاءم مع الأوضاع القائمة بحسب العلاقة الفكرية بالسياسات العالمية ومدى تأثيرها في الأمة.

وحتى يومنا هذا إذا نظرنا إلى المرأة من واقع الحَقِّ المشروع لها في الإسلام نجد أن كافة القوانين الوضعية لم تَكْفَلُ لها مَطْلَباً سليماً سديداً بقدر ما كفلت لها التنافس مع الرجل وتَعْطِيل وظائفها ووظائفه وهذا مطلب الشيطان في البشرية.. يُخرجهم من حَدِّ الاعتدال في المواقف إلى طرفي الإفراط والتفريط، وهما الطرفان اللذان يعيش الشيطان منتصراً بهما في الإنسان.

وقد يظهر مع بداية التَبنِّي والاعتناء بأحد الطرفين بُروزُ الحماس والانطلاق الطَبْعِي لدى الجنسين، ولكنّه لا يتعدّى مرحلة محدودة ثم يتضاءل الأمر وتتراجع النفوس وتعود الأمور مرة أخرى إلى سيادة الرجل كرجل وشتات أمر المرأة كمرأة، وخرجت العلاقات بين الجنسين من ضوابط العقل والنقل إلى الرغبات والشهوات والانفعالات والتحديات..

وبين هذه الانفعالات وانعدام الاحترام للضوابط الشرعية يتدخل الشيطان ليَعْصِف بالأغرار من الرجال والنساء نحو التَّرذل والتَّحلل والتَّهتك والفساد والإفساد.

ولا يُرِيدُ الشَّيطان أكثر من ذلك ليَبْنِي على هذه المواقف المضطربة احتناك الجنسين والزج بهما في معركة التسعير والتحريش..

لقد بَيَّن الإسلام أثر الشيطان على الجنسين وبين زيادة الأثر في الأنثى، وتحويلها إلى (أحبولة) من (حبائله) ليُدمّر الآدميّة السليمة ويُرْغِمُهَا على العَيْشِ بلا هوية ولا ديانة ولا أخلاق: «**إن أَوَّلَ فِتْنَةٍ كانت في بَنِي إسرائيل من النِّساء، فاتَقُوا الدُّنيا واتَقَوا النِّساء**»، «**النِّساء حَبَائلُ الشَّيْطَان**»، «**إن المرأة خُلِقَتْ مِنْ ضلعٍ أَعْوج، وإن أَعْوَجَ شيء في الضلعِ أعلاه**»، وهذه الأحاديث وغيرها قد تناولتها ألسنة المثقفات والمتحررات إلَّا من رَحِم الله، ومعهم جُملة من ضحايا المرحلة من الرجال وشكّكوا في الرواية والمتن والسند، ليشككوا أيضاً في الموقف الناتج عن معانيها وقد استطاعوا بهذا الفعل المتواصل أن يحققوا للشيطان مكاسباً في الآدمية المسلمة.. أما الآدمية غير المسلمة فهي في هذا الخضم الهائج قدوة المرحلة ومثال التحرر والتطوّر والتقدم والأخذ بأسباب الانطلاق نحو الهدف الإبليسي الأخير.

لقد ظُلِم الإسلام في الجنسين، وتجرد المسلمون والمسلمات عن أسباب السلامة والأمن والاطمئنان إلى التحريش والتسعير، ويؤكد المصطفى ﷺ حصول هذه الظاهرة الخطيرة في مثل قوله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهن:...**» ثم ذَكَر: «**ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ على رؤوسهنَّ مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**».

والإشارةُ هنا إلى عالم الإسلام والمسلمين، والصنف من النساء العاريات الكاسيات هنا من المسلمات ولا شكّ..

إلّا أن الثقافة المزدوجة حببت لعقلها الفصل بين الحِشمة في اللباس وبين الديانة كعبادة واعتقاد، فصارت الألبسة والحشمة مسألة اجتماعية والديانة ومتطلباتها مسألة أخرى، واخترق الشيطان واقع المرأة مثل الرجل وتحقق ما أخبر عنه ﷺ من ظهور الكاسيات العاريات وغيرهن من أقماع الهوى واستتباع الشيطان..

إن ضياع التربية الإسلامية في مجتمعاتنا المستعمرة والمستثمرة قد أحدث فجوة خطيرة في مواقف الرجال والنساء من موروثات الديانة.. وزاد الطين بلة.. تجنيد المدرسة الأنوية كافة الوسائل الإعلامية والهلامية لإضعاف واحتواء ما تبقى ممن يتكلم بها أو يعبر عنها.. واستوعبت مواقع الكلام والإعلام دُعَاة التحرر والتطور المزعوم؛ ليفتتن الجميع ويضعون من الإسلام مشروعاً حضارياً يسير بالمسلمين مع الركب نحو الاتجاه الإجباري: (**جُحْرُ الضّب**).

إن مناقشة المساواة والحقوق في هذا العصر المريب قد صارت إحدى أوراق المَسْخ والنَسْخ التي يتهيّأ بها المجتمع المغلوب على أمره لمرحلة المسيخ الدجال،

والدَّجال والشَّيطان وَلُوع بالمرأة، ومسيّس عواطفها وطموحها إلَّا مَـنْ رَحِـم الله مـنهن.. وهمـا أيـضاً كذلك بالرجل.. ولكن الرجل قد يختلف في بعض طِبَاعِه فيتدارك الأمـر قبـل سـيطرة العاطفـة والطمـوح باعتبار وظيفته..

وأثرُ العاطفة والطموح لدى المراة يختلف كثـيراً عـنهما في الرجـل مـن حيـث الآثـار والتـأثير، فجـرح العاطفة والطموح في المرأة لا يندمل باعتبار منطلقاته إذا كانت غير مـشروعة، فيكـون الـدمار أكـبر وأعـم وأطم، سواء من حيث العادات والتقاليد أو من حيث الشريعة ذاتها، وما ألزمت به المرأة من ضوابط خاصة تتعلق بتمييز وظائفها عن وظائف الرجل.

إن كافة القيود الشرعية الوقائية في سلوك المرأة إنما هي عامل من عوامل إنجاح الوظائف التـي خلقـت من أجلها المرأة... كما أن كافة القيود الشرعية الوقائية للرجل إنما هي عاملٌ هامٌ من عوامل إنجاح وظـائف الرجل في الحياة..

وقد عرف الشيطان الفرق الواضع بـين (الوظـائف) عنـد الرجـل والمـرأة فكـرَّس الأقـلام والأعـلام والأفلام لإثارة قضية الحقوق.. والمقصود منها (تَعْطِيل الوظائف) وتعطلـت (وظـائف الرجـل ووظـائف المرأة) وفي مواقع أخرى اختلت الوظائف واشتغل الجميع بتنفيـذ مـراد الـشيطان إفـساد الوظـائف وإثـارة جدلية الحقوق..

إنها عواطف مُنْدَفِعَة أو مَدْفُوعَة ولا تفسير لها غير ذلـك والـضحية في كـل المـستويات الرجـل والمـرأة والمنتصر من كافة الوجوه هو الشيطان.

إن تسليم المرأة المسلمة لما جاء به الإسلام والبحث التام عنه وعن تطبيقـه هـو عـلاج المـشكلة وطريـق السلامة في الحياة..

فنحن نحتاج إلى إعادة النظر في الوظائف والحقوق سواء للرجل أو المرأة ومـن داخـل الإسـلام ذاتـه، ودون الحاجة لتدخل فِكْر آخر.. فالذين يتدخلون في شؤون المـرأة المـسلمة لا يعملـون لـمصلحة المـرأة ولا لمصيرها المنتظر وإنما يعملون لحساب الدَّجال والشَّيطان سواء كانوا يعملون أو لا يعلمون، وأضرب لذلك مثالاً:

هناك بعض الملتزمين بالديانة في حياتهم الخاصة لكن وظائفهم في الإعلام ونتاج الأقلام يلـزمهم تنفيـذ برنامج ما قد يكون ضرره على الأمة أكثر من فائدته المرجوّة، فهم يعملون في وظائف تحقق مكسباً للشيطان باعتبار وجودهم كرموز تنفيذ لكنهم لا يدركون أهداف وثمرات وآثار هذه الفكرة أو تلك على كيان الأمة وسلامة دينها وشرعتها.

والشيطان لا يهمه من المرأة حُسن اعتقادها ولَطَافة أخلاقها والتزامها بظواهر الديانة، وإنـما يتتبـع فيهـا مُحَقَّرَات الأعمال مما لا يُؤبَهُ له لدى العقل السَّاذج، كاللباس والحركة، والطموح، والعاطفة، والغريزة وكسر حواجز الحياء.. فهذه عند التزام المرأة لفعلها يبدأ الشيطان في تحصيل مكاسبه من المرأة المتديّنة مـع إقناعهـا باطناً بطهارة المتجه وطهارة المقصد دون الحاجة لحجاب أو جلباب.... ويواصل معها تساهلها في محقـرات الأعمال حتى تـصبح جـزءاً مـن عاداتهـا وتقاليـدها المألوفـة، ويـدخلها مـع المـدى في مجموعـات الإثـارة والتحريش والتسعير...

لقد طَالَ الجدل كثيراً في مسألة (حماية وظائف المرأة) وعدم تداخلها مع وظائف الرجل، وازداد الجـدل وترجح لصالح الأنوية الإبليسية بعد ظهور الأجهزة الإعلامية وظهور تجـار القـضايا الإعلاميـة.. وصـار العديد من العلماء ورَغم جَلَالة قَدْرِهم يتنازلون إلى المستوى الذي يُرْضِي مدرسة الـشيطان في قـضايا المـرأة مقابل ما يستلمونه من عائد مادي أو إعلامي أو جاه أو سلطان أو غير ذلك...

إنها معركة.. بيننا كمسلمين رجالاً ونساءً.. وبين الشيطان والدَّجال ووكلائهما،

فالمعركة من شروطها الناجحة عندنا أن لا نكشف أسرارنا للعدو المشترك، ومن أسرارنا: (**فِقْـهُ الدِّيَانَـةِ والتَّدِين في قَضَايَا المَرْأَةِ**)، فهذه قضيةٌ هامةٌ يَنْبَنِي على إعادة النظر فيها رفع مستوى المرأة لتكون أهـلاً لحفـظ أسرار المعركة وعاملاً مساعداً ضد الشيطان والدجال ووكلائهما في العالم..

فالإسلام يضع المرأة جندياً في معركـة البنـاء والمـصير، والـشيطان يـضع المـرأة وسـيلة إغـراء وإغـواء وتحريش وتسعير وإثـارة عواطـف في معركـة الهـدم والتـدمير ﴿**إِنَّـمَا يَـدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُـوا مِـنْ أَصْـحَابِ السَّعِيرِ**﴾[1] ..

فأين هي المرأة الواعية؟.. ولم أقل المرأة المتعلمة المثقفة حاملة الشهادة.. فهـذه امـرأة مـن نمـوذج آخـر ونوع آخر، وتحتاج إلى جهد مستمر ووعي مستقر حتى تفهم وظائفها الأبوية، وإنما أقول (**المرأة الواعيـة**)[1]،

---

(1) سورة فاطر: ٦.

ولو كانت أُميَّة العلم وقليلة المعرفة، فالسلامة لا تتحقق ولم تتحقق بمجرد تعليم وثقافة المرأة؛ بل أنها بهذه الوسيلة وحدها اخترقت أكثر من ذي قبل، وامتلك الشيطان ووكلاؤها زِمَامها وطُمُوحَها، وحولها إلى وسيلة هالكة هاتكة فاتكة.. وللأسف..

إن كثيراً من وكلاء وعملاء المدرسة الأنوية يَستفزَّهم مثل هذا الطَرْح ولا يجدون لهم مخرجاً منه إلا اتهام المعبِّر عما اختلفوا فيه بالرأي الشخصي.. أو ضعف فهم قراءة النصوص الشرعية.. أو في أدنى الأحوال تصنيفه بعدوّ المرأة وعدوّ التطور والتقدم الخ....

ومثل هذا القول قد عَرَفَهُ تاريخُ التصنيف والتدوين وامتلأت به المؤلفات والقصص وحتى ناقشته من وجهة أنظار متنوعة الأفلام والصور المتحركة والمسرح والأغنية والمقالة وحتى منابر الخطابة الدينية والاجتماعية والسياسية.. فلا جديد في مجرد الاتهامات وإلصاقها بالغير وبث روح الاطمئنان في أهل الجُنُوح والانحرافات المتلاحقة.. وإنما الجديد في العمايات تلو العمايات التي تُصَاب بهذا الأجيال وتتوسع بها دائرة المدرسة الأنوية الإبليسية بين النساء والرجال.. وللأسف..

---

(1) والمقصود بالواعية: الملتزمة بأدب التربية الإسلامية منذ الصبا، أو التائبة المستقيمة التي وعت شرف التفرد الأنثوي في الوظائف والالتزام العام بالحقوق والواجبات

الوَسَطيَّةُ الشَرعِيَّةُ بَيْن الاخِتِبَار والاخْتِيَارِ

مَنْ هُم المعنيّون بالوسطيّة الشرعيّة والمطبّقون حَقيقة لَهَا في مُحيطنا الإسلامي والعربي والمحلي؟ وهكذا يُطْرَحُ السؤال نفسه...

وربما يتبرع لوضع الإجابة كثيرون:

قادة المرحلة لديهم تفسيراً لمفهوم الوسطية،

وقادة الأحزاب والجماعات كذلك،

والفئويون من كافة التكتلات لديهم فهماً للوسطية،

والإعلاميون يتحدثون عنها بلسان رموزهم،

وللجميع في دينهم الإسلامي قدوة وأسوة، ومنه يستخلصون الأدلة والبراهين والحجج التي تستقر بها المرحلة وما فيها..

وهناك آخرون من حَمَلَة المنهج الأبوي التقليدي يتحدثون ويفسرون الوسطية من حيث وقفت بهم عجلة التاريخ،

فالفقهاء المذهبيون يُصبغونها بصبغة التعصب المذهبي،

والسادة الصوفية يستلهمونها في تجليهم وصفائهم المعنوي،

والحركيون السلفيون يستشعرونها في منطلقهم الاندفاعي الوهمي،

والشيعة المتربصون يصيغون بشعاراتها مستقبلهم الرقمي،

وعوام الأمة من جميع الطوائف يلوكونها بألسنتهم وهم في غاية الحِيرة والانزعاج مما يرون ويسمعون ويقرؤون.

ويلتفت الجميع إلى الحروف المقروءة ويقولون بلسان حالهم متهكمين: رُبَّما الكاتب يَرَى نفسه هو المعبر عن حقيقة الوسطيَّة الشرعية، إذ هو لم يترك أحداً إلَّا وسَخِرَ منه في مقالته، إذن فليس هناك من يعبر عن هذا المفهوم الشرعي غيره، أو هو هكذا يعتقد، وهذا بلا شك عين الغرور من الكاتب المغرور.

وضاعتْ الحقيقة بين هذه السفسطات.. وتـولى الـشيطان الملعـون إرشـاد الجميـع إلى وسـطية العمـل السياسي المشترك.. (تسييس الوسطية) وصارت إحدى قضايا المرحلة على لسان أساطينها ورموزها.

وإذا ما عُدْنَا إلى السؤال الأول: مَنْ هُمُ المعنيون بالوسطية الشرعية والمطبقون حقيقة لها؟

سيكون الجواب من واقع فقه التحولات.. أولُ هذه الأمّة، وإذا ما أشـكل الأمـر عـلى القـارئ لتـاريخ التحولات فلم يجد للوسطية الشرعية غير أمثلة النزاع والصراع وما تتقوَّله كل مجموعة ضـد الأخـرى منـذ مُبْتَدأ موت المصطفى ﷺ إلى عصرنا الحاضر.. فماذا يكون مفهـوم «**أول هـذه الأمـة**»؟ والإجابـة المُـثْلَى: إن مفهوم فقه التحولات غير ما فهمه القارئ للتاريخ والديانة من غيره.. فالتحولات فقهٌ مـستقلٌ عـن علـوم الإسلام والإيمان والإحسان، ولكنَّه دَاعمٌ لها، ووعاءٌ لثوابتها ورجالهـا، وكاشـفٌ سِرَّ مـا يجـري في مـسيرة الإنسانية، ومُفَسِّرٌ لمفهوم الوسطيَّة الشرعية دون إفراطٍ ولا تفريطٍ.

فالوسطيَّة الشرعيَّة في مفهوم فِقْه التَّحولات هي مرحلـةٌ معينـةٌ حملـت شروط الالتـزام بفقـهِ الكتـاب والسنة والأخلاق، وأساس هذه المرحلة ليس مجرد الكتـاب ولا مجـرد الـسنة فقـط وإنـما أساسـها مواقـف وسلوك وأساليب تطبيقهما على الواقع المرحلي بأقوال وأفعال وتقريرات ومواقـف الرسـول ﷺ ذاتـه (فقـه تطبيق الأقوال والأفعال والتقريرات).

وكما عبَّر الشيخ البُوطِي في كتابه (السلفية مرحلة مباركـة) فكـذلك (الوسـطية الـشرعية) هـي مرحلـة مباركة،

والجميع أمام هذه المرحلة المباركة مستفيدون ومقتدون على كافة الأصعدة والمستويات والمراتب.

فمن كان في مستوى قرار الحكم.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان في مستوى قرار العلم.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان في دائرة الأحزاب.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان في دائرة الجماعات.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان من أهل المذهبية.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان من الصوفية.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان من المدرسة التيمية.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

ومن كان من المدرسة الشيعية.. فله من المرحلة المباركة منهج ومدرسة،

وفِقْهُ التَّحولاتِ المُقْتَبَسُ من أحاديث الرُّكن الرابع من أركان الدِّين يضع هـذه المجموعـات المـشار إليهـا سلفاً تحت مِجْهَر العلامات والأشراط ومُضلات الفِتن والأمارات والبـشارات والملاحـم.. كأصـل في تحليـل واقع الحياة وتقلباتها وأفكارها ومن يتحرك على محيط الحكم والعلم فيها.. ولا يجعل (الواقـع المجـرد) شـاهد على السلامة والأمان.. ولا على مُسمى الوسـطية والاعتـدال ولا تكـون مجـرد الظـواهر دلالـةٌ عـلى صـدق الشعارات وحقيقة الأهداف والتوجهات ؛بل لا بد من رَبْطِها بالفِقْه المرْحَلِي لعَلامَات السَّاعة وموقع الفرد أو الجماعة أو الحزب أو الدولة أو غير ذلك من الأمـارات والـدلالات التـي نَطَـقَ بهـا سـيد الأمـة في المـرحلتين الأساسيتين: (المرحلة المكية، والمرحلة المدنية)، وهذا هو أساس القـراءة الإسـلامية الواعيـة المَبْنِيـةُ عـلى رَبْـطِ مجريات الأحوال بتاريخها وجذور نشأتها وعوامل ظهورها ونجاحها أو فشلها، فهناك الكثير من البؤر الحاملة مُسمَّى الإسلام باعتبار تكوّنها في مرحلةٍ ما بسبب عارض كالحروب والانقلابـات والمـؤامرات. ومـع مـرور الزمن وزوال عَوائق المعارضة اعتقدتْ الأجيال وحملة الثقافة المرحلية أن هذه البؤر هي الممثل الحقيقي للديانة والتدين باعتبار ما نقرأ و نسمع وتُستثمر في المرحلة؛ بل وصارت هـذه البـؤر المسيَّـسة تحمـل حـصانة ماديـة وفكرية في المرحلة بحيث يحق لها نقض الموروث والتشكيك في تاريخ الإسـلام وحملـة مناهجـه الأساسـيين.. مهما أغرب بالأمة وأبعدها تماماً عن الجادَّة المشروعة إلى ما نحن فيه وعليه من المتناقضات والفِتن الماحقات.

وعودةُ الأمة إلى الوسطيَّة الشرعيَّة مَطْلبٌ إسـلاميٌّ عـادلٌ والـدَّاعون إليـه بحـقٍّ ﴿**رِجَـالٌ صَـدَقُوا مَـا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[1]، والتبديل المُـشار إليـه في خِتَـام الآية هو شَرْطُ السلامة في التزام العَهْد، فالذين بَدَّلُوا وحَرَّفُوا وسَيَّسُوا لا شَكَّ أنهـم قـد خرجـوا إلى دوائـر الإفراط والتفريط في كافة المستويات.

وقد يكون هذا التبديل رَبْطُ العجلة الفكرية الإسلامية بمصالح العالم الكافر وطموحاتـه في الأمـة مـن حيثيات الاقتصاد والإعلام والثقافة والتعليم كما هو جَارٍ الآن في العالمين العربي والإسلامي، فهـذا مـسلك لا يحقق الوسطية الـشرعية ولا يـدعو إلى الاعتـدال الـواعي.. وإنـما هـو في أحـسن أحوالـه مُخـدِّر مَـرْحَلي وموضعي يُسْهِم في تَسْكِين ثورة الجسد وتخفيف وطأة البَتْر والقطع التي تُقَام فيه وبأيدي مرجفيه ومترفيـه، مع تحقيق بعض المكاسب المادية المحدودة..

---

(1) سورة الأحزاب: ٢٣.

إنها أزمةٌ خطيرةٌ.. ولكنَّها تَدبُّ في جسد لا يحسّ بها يُعمل فيه، ولا يُدرك ما يدور حوله..

والخُبراء المدربون.. يستثمرون الجسد الثمل ويعبّرون عن طموحاتهم فيه من خلال هذيانه المحموم في غرفة الحقن بالمخدرات..

لقد كَبُرتْ القضية وتَفشَّتْ في الجسد المتداعي وصارت أجزاء من هذا الجسد لا تتلذذ بالحياة ولا تستأنس بها إلَّا من خلال الحَقْن المُسْتَمر بالمخدِّر المسموم، ويقول قائلهم وهو في قمة النشوة بالمخدر: «دعونا نعيش!».

والوسطيَّةُ لُغةُ المرحلة.. والمتحدثون عنها يَرْغَبُون في التخلص بها من عساكرهم المدربة على البتر والإقصاء والاجتثاث في المراحل السابقة؛ لأن لغة المرحلة السابقة قد أدت دورها بنجاح ولم تعد صالحة للحالة القائمة، والوسطية الشرعية لا تَرُوق لركب العمل الإبليسي على الإطلاق، ولهذا لابد من قبول الوسطية السياسية المرحلية؛ لتؤدي دورها بيد المدربين على استغلال ما يُناسب منها فقط، وقد يُتَخَلى عنها مؤقتاً.. لتستبدل في محك الاختبار العملي في المواجهات بين القوى بالحركية المتولدة عن السنة المصنّعة وهي قادرة على مواجهة امتداد الشيعة المقنعة في الحرب الاجتماعية المسيّسة.

إن الوسطية الشرعية القائمة على العدل الاجتماعي والأدب الإسلامي مع كافة نماذج الحركة المعاصرة.. لا زالت تُواكِب المرحلة وتُسْهِم في استثمار فُرَصَها المحدودة، وهي في بلادنا اليمانية أكثر انطلاقاً وامتداداً، بل وأكثر استثماراً للواقع ومجرياته، ولم تجد المدرسة الإسلامية مرحلة رَحْبَة في نشر حقائق توجهها الديني وخاصة مدرسة الأبعاد الثلاثة (المذهبية، التصوف، حب آل البيت) إلَّا في مرحلتنا الوحدوية السائدة الآن، فهي مرحلة التنفس الحقيقي لها بعد مراحل التضييق والمحاربة السابقة، وقد استفاد رجال هذه المدرسة إلى حَدٍّ ما من انفتاح النظام المعاصر على كافة نماذج القوى الدينية والدنيوية باعتبار شمول المرحلة ودخولها في المسارب الأولى لسياسة العولمة، فأقاموا لمدرستهم الأبوية مظاهر الامتداد والبناء من جديد وأسهموا بجدارة في إيجاد التوازن المعرفي والاجتماعي بين النماذج الجديدة المتطرفة وبين النماذج التقليدية الميتة، وأثبتت مدارسهم الأبوية وفي مقدمتها (مدرسة حضرموت) قدرتها على أن تنشيط المفهوم التربوي والتعليمي والدعوي المرتبط تاريخياً بالسلام والوئام والحكمة والموعظة الحسنة، كما كان أثرها من قبل في العالمين العربي والإسلامي.

كما استفادت المدرسة الزيدية من هذا الانفتاح رَغم تَعثُّر سَيْرها في الواقع الاجتماعي، واستطاعت في مدة قصيرة من إعادة الخدمة العلمية للتراث الزيدي ونشر المؤلفات العلمية والفقهية المتنوعة، وفتح أبواب المعاهد وعمارة الحلقات في المساجد مخترقة الواقع المشتبك ومستفيدة من الوضع المرتبك، مع أن مبادئها الحركية التي تعرقل امتدادها العام تفرض عليها التريث والإناءَة وإعادة النظر في كثير من الثوابت الحركية.. إن أرادت أن تبقى في حَدِّهَا الأدنى نافعةً ومفيدةً للشُّعوب.

إنَّ مبدأ الوسطية والاعتدال بمعناه العام قد أعاد في مرحلتنا المعاصرة نفس الحياة للأمة الإسلامية بعد ضيق وشمول حيرة، وبصرف النظر عما سبق ذكره من تسييس هذا المبدأ ليصب في مسارب العولمة وجُحر الضب فإن المختنق الآيس من الحياة قد يعود له أمله فيها إذا ما وجد من التنفس ما يضمن له الحياة.. فالمرحلة السابقة كانت قاسية الظروف على المدرسة الأبوية من كل الوجوه محلياً وإقليمياً وعالمياً، كما أن المرحلة المعاصرة قاسية على المدرسة الحركية من بعض الوجوه.. محلياً وإقليمياً وعالمياً..

وأعتقد أن مفهوم المدرسة الحركية ليس خافٍ على القارئ، فهي مدارس الفكر الحركي القائم على محاربة وتشويه المعادلة الأبوية القديمة (المذهبية، التصوف، آل البيت)، وتضييق مساراتها، وتحجيم عيوبها، وشَلِّ تأثيرها التربوي والتعليمي والدعوي في الواقع الاجتماعي لأسباب تخفى على اللبيب فضلاً عن المواطن العادي.

ويمكن كشف جانب واحد من جوانب هذه الحرب المسيّسة، وخاصة ما يخصُّ حملة القرار العالمي.. فالقرار العالمي قبل مرحلة (تقسيم تركة الرجل المريض) كان يُعَانِي من تماسك الواقع الشعبي في الدولة الإسلامية الواحدة، وكان السبب الرئيس في هذا التماسك وحدة العمل الشرعي بين الشعوب على المعادل الثلاثي (المذهبية، التصوف، آل البيت) والخارجون عن هذا المعادل المتضافر لابد أن يعيشوا على هامش التأثير.

ولهذا فإنه بمجرد انتقاض عُرْوَة الحُكم في دولة الخلافة الإسلامية وإسقاط القرار الحامي لهذه التركيبة الشرعية في الواقع العربي والإسلامي بدأ العمل على تتبع ما لَحِق بهذا النظام الإسلامي من تركيبات مذهبية وصوفية وحب لآل البيت وما يتعلق بهم من مدارس وزوايا ومظاهر اجتماعية وحتى قبورهم وكتبهم وآثارهم... وهلمَّ جراً، والاستعاضة عنها بالبديل المسيَّس الحامي قرار (أَكَلَة القصعة) في الجسم المتداعي، والوقوف إلى جانبه سراً وعلانية لاجتثاث الموروثات الشرعية والوضعية وغرس المفاهيم الجديدة القادرة على حماية (أكلة القصعة) وفقهائها النفعيين، وكان لابد لهذا كله أن يتلفَّع بخمار حماية العقيدة والديانة

ونصرة الإسلام حيناً، وحيناً على ضرورة حرص العقل المتطور الاستفادة من مظاهر الحضارة المادية، ومد آثارها في العالم التقليدي المتخلف تحت مسمى الاستعمار اللغوي.. وقد تم ذلك وعلى أفضل الوجوه...

وكما سُيِّسَت الديانة فاليوم نرى تسييس مفهوم الوسطية والاعتدال وبنجاح تام.. وللأسف...

فإنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فتِلكَ مُصيبةٌ ... وإن كُنتَ تَدْرِي فالمصيبةُ أَعْظَمُ

الْمُسْلِمُونَ في المرحلةِ بين الرَّاياتِ السُّود والرُّؤىَ السَوْدَاويَّة

إنَّ فتح المناقشة بين مسلم ومسلم اليوم حول مسألة الصراع – إن صحت العبارة – بين السنة والشيعة، لا يُعالج قضية الإسلام ولا يُجسد حقائق الدعوة الإسلامية السمحة.. بل يُعيد كَرَّة الحِقد والتَّزمُّت لدى كلِّ فريق ضد الآخر، وخاصة عند الانطلاق من (مَفْاصَل) الاختلاف (وبؤر) الانطلاق المؤدِّي إلى ما افترق عليه، أو ما اُختلف فيه قديماً، حيث أن سقف الإسلام المنظم حياة الشعوب ينحصر في الالتزام بثوابت ثلاث:

١- القدوة برسول الله ﷺ في مواقفه مع المخالف والمعارض داخل خيمة الإسلام، وهو ما يسمى بـ(المواقف).

٢- حصر المعالجة في رفع عقدة النزاع إلى ما قبل مراحل الصراع، فالأحداث الجارية بين المسلمين فرضت نفسها على المواقف الشرعية وصارت بديلاً مسيَّساً يُلزم كل فريق أن يتشبَّث بتعليل مواقف الفتنة وأسبابها وإحالتها لا محالة على الأوضاع السياسية القائمة آنذاك، أما التكتل مع أهل الإفراط أو مع أهل التفريط وكلا الموقفين أفرزا في تاريخ المسيرة الإسلامية مواقف خطيرة وانحرافات مثيرة تتنافى أساساً مع مبادئ الإسلام ذاتها..

مع العلم أن بين طرفي الإفراط والتفريط مواقف الاعتدال والتوسط التي رسمها (أُولُو الشأن أنفسهم) من أئمة آل البيت وكبار علماء الأمة ومرجعياتها، ومواقف الاعتدال والتوسط حفظت عقلاء الأطراف ورجال الإسلام وكبار الأئمة من الفتن المضلّة التي أَشْعَلَتْ الفِتن بين المتعصبين للأحداث ومجريات التحريش، وحفظت أيضاً منهج السلامة إما بصمت رجاله، أو بانتقالهم من مواطن التحريش والفتنة إلى غيرها مع التزامهم بالتوسط والاعتدال المشروع بعيداً عما رسمته الأحداث من المواقف المؤدية إلى لعن وتكفير هذا لذاك أو ذاك لهذا.

لقد انطلقت ألسنةُ المُحَارِبين لمنهج أهل السُنَّة من تعليلهم مواقف المدرسة الأموية والعباسية حاملة لـواء المُلك العَضُوض، وجعل مبدأ (السنة والجماعة) ثمرة مؤامرة السياسة الحاكمة التي سلبت آل البيت موقعهم من القرار ثم الاستقرار، وبهذا التعليل المغرض صارت المذهبية السنيّة من حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية.. من وجهة نظر أولئك.. جزءاً لا يتجزأ من المؤامرة على الإسلام أو هي ثمرة من ثمرات الملك العضوض الجائر ومحسوبة عليه، كما تنطلق ألسنة المحاربين للشيعة أيضاً لدى المعارضين لها من واقع الأحداث التي أفرزت مبادئ التقية وفقه اللعن والتبري وما يشابهه من إفراطات الأحكام المبثوثة لدى الشيعة ذات العلاقة المباشرة بالمدرسة السبيئة وفقه ما بعد المرحلة الكربلية (كربلاء)ومن هذا وذاك تكوَّن الرُكام العَدائي بين المسلمين داخل الخيمة الإسلامية الواسعة.

مع العلم أن ما بين صراع هاتين المدرستين (سنة وشيعة) مواقف عادلة ورجولة كاملة نهجها (أئمة العلم والدين والنسب)، وعلى مواقفهم ورجولتهم كان المعول والموقف المفضل، وبهم حفظ الله الحق من الزوال والدين من التسييس والابتذال ومن بين مواقفهم ورجولتهم برزت المذهبية السنية المعتدلة داخل دائرة الشعوب كما برز التشيّع النقي المجرد عن الآفات لدى أمثالهم من المحبين والمتعلقين بذوات آل البيت.

إن هنا مفصل هام وخطير يمكن أن يكون مُفْتَرَق طُرق التعليل للمجريات كلّها، وهو أساس القاسم المشترك الذي فَقَدَهُ المتنازعون إلى اليوم.

إنه فِقْه الأصالة.. وليس فقه الأصول،

وفقه الإمامة.. وليس فقه الإماميّة،

وفقه الدعوة .. وليس فقه التَّداعي،

وفقه المذهبية .. وليس فقه التمذهب.

ويصعب على المُسْتَغرق في التعصب الموروث والفقه الطبعيّ المدروس أن يَسْتَوعِب رؤية جديدة خارج دائرة المألوف لديه وما عاش وترعرع عليه.. والرؤية المُشار إليها ليست جديدة وإنما جِدّتها كَوْنها مَتْرُوكة لدى الأطراف المنفعلة.. ومُسْتَعاض عنها بفِقْه الأحداث الجارية وما يَنْتُج عنها من مواقف وما يترتب عليها من فتاوى طارئة وتشريعات ناتئة.. وكما يقولون «واختلط الحابل بالنابل»، واشتبك المندفعون والمنتفعون في حرب مسيّسة لا فَكَاكَ منها ولا هوادة إلّا أن نعود جميعاً إلى ما قاله ﷺ عشية اشتباك

المهاجرين مع الأنصار وحملهم السلاح ضدَّ بعضهم البعض عند افتعال الشيطان حَدثاً معيناً كـاد أن يُفجـر الموقف وينبش الجِراح: «**أَجَاهِلِيةٌ بعد إِسْلَام؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة**..».

إن فقه الأصالة هو فِقْه الاقتداء بالمتبوع الأعظم، ثم الاقتداء بخلفائه الراشدين المهديين، وقد قال فيهم ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشدين المهديين من بعدي، عُضُّوا عليها بالنَّواجـذ، فـإن يَعـشْ مـنكم فسَيَرى اختلافاً كثيراً**».

والخلفاء الراشدون المهديون كانوا قُدْوَة العُقلاء في مراحـل الاخـتلاف كلِّهـا، خلافـاً لهيـشات الأسـواق ومجموعات النفاق والارتزاق، فهؤلاء الهيشات تجاوزا الحدود، وحققـوا للـشيطان المقـصود قبـل بـروز صراع السنة والشيعة المسيّس بقتل الإمامين الخليفة الثالث والرابع، وما ترتب على هذا الانحراف الخطـير مـن تكـوّن الطابور الثالث المتبني كافة المواقف الانفعالية والآراء الارتجالية التي سحبت نفسها على بقية الأطراف فـيما بعـد والتي نبّه النبي ﷺ في فقه التحولات وعلائم الساعة إلى بدء بروز المرحلة الدجّالية من داخلها[1]

وأما علم الأصول أو فقه الأصول فقواعدُ علمية برزت في عهـد التـدوين خدمـة للتـشريع والأحكـام وقوانين الدولة الإسلامية الكبرى في مسائل الحلال والحرام..

وأما فقه الإمامة فهو فقه المراتب الوراثية المنصوص عليها في الكتاب والسنة لآل البيت الكـرام -رضي الله عنهم وأرضاهم[2]- عند كمال نسبة الخلافة المعنوية لدى صدورهم وأئمتهم بالعلم والعمل حيـثما كـانوا من المذاهب السليمة والخلافة الحكيمة.. لا فرق بين حنفـيهم ومـالكيهم وشـافعيهم وحنبلـيهم وإمـاميهم وزيديهم وهلمَّ جراً... حيث أن الإمامة لا تَنْقَدح بالمذهب ولا تلزم الواصـل إليهـا أن يـتخلى عـن مذهبـه الإسلامي ليرجع مثلاً إلى المذهب الإمامي المعروف بالإمامية، فالإمامية مـذهب إسـلامي بـرز في مراحـل التكوين للمذهبية الإسلامية ولم يكن موجوداً من قبل مثله مثل غيره من المذاهب الأخرى، فهو ليس بديلاً عنها ولا وارثاً لها ولا هي بديلة عنه ولا وارثة له، ولم يُوصِ النبي ﷺ بمذهبٍ فقهي أو أصولي بعينـة وإنـما

(1) فقه التحولات وعلامات الساعة، للمؤلف أبو بكر العدني بن علي المشهور.

(2) فقه المراتب الوراثية .. مجموع ما نصت عليه الأحاديث والآيات في شرف الآل وخصوصياتهم الشرعية ووجوب محبتهم وتقدمتهم وفي ذلك ما يشير إلى أهليتهم الشرعية لحفظ الدين والقيام بأمره عل ورعٍ وتقى .. وتفسر المراتب الوراثية بأنها الاستعدادات العلمية والعملية الموصلة للوارثين من آل البيت البلوغ إلى مرتبـة الإمامـة.. وهـي تـوازي مفهـوم مرتبـة الاجتهاد عند الأصوليين بشروط عديدة ليس هنا موقع بسطها... اهـ

وَصَّى بالذوات، ورفع قدر العلماء والأولياء عند الالتزام بما هو أقرب إلى الاهتداء والاقتداء في كافة الحالات مثل قوله «**عالِمٍ قريش يملأ طباق الأرض علماً**»، فهذا لا يعني وجوب الالتزام بمذهب الشافعي دون غيره تبعاً لفهم هذا النص.. وكذلك لا يجب حَشْر الأمة في مذهب بعينه دون غيره تحت أي مبرر أو حجة.. فهذا لا يمت إلى الإسلام الحق بشيء أبداً، وإنما يمت إلى طبيعة المتعصب والمتعاطف.. فالمذاهب – كما سبق الذكر والإشارة– للتعبّد والتعرف على ما يحتاجه المسلم في أمر دينه نصاً واستنباطاً..

وأما فقه المراتب (الإمامة) فهو فهم يُؤْتَاهُ أحدهم أو أكثر في كتاب الله وسُنَّة نبيه ومواقفه يجمع الله به أمر المسلمين ويصلح الله به أمر الدنيا والدين.. مع زيادة عِلمٍ وحِلْمٍ وعبادةٍ ومراقبةٍ لله وحُسن اتّباع لرسوله ﷺ بصرف النظر عن نموذج مذهبيّته التعبديّة.

فالمتعصبون لفكرة المذهب الواحد مُصَابُون بعلِّة الأنانيّة وخاصةً في تفسير معنى (الإمامة)، ويربطون بينها وبين الإمامية كمذهب، وهذا خطأ فادح في التعليل الشرعي كما هو خطأ المفسرين لكلمة (الشيعة)،

فالشيعة اسمٌ يطلق على المُحبِّ لآل البيت وليس اسم لآل البيت أنفسهم[1]، ، وعندما صارت الإمامية مذهباً كغيرها من المذاهب بصرف النظر عن الصواب فيها والخطأ سُميت مذهب الشيعة، وربما كان من أهل البيت من تبنى أو ارتبط بالمذهب الإمامي نتيجة الدراسة والمواطنة والملازمة في البلد والمكان أو الانتماء التاريخي لموقع المذهب وبيئته وهذا كثير ولا غبار عليه.. وإنما الإشكال والخطأ في إلغاء مذاهب الآخرين وربطها بسياسة المُلْك العضوض واستبدال ذلك بمذهب محدد مذهب ناطق باسم آل البيت المظلومين ولا غيره.. وكأنّما صار هذا المذهب في معلوماته ومواقفه وتعليلاته التي ارتبطت بأحداث التاريخ وتقلباته هي التفسير الأجمع والأتم لكتاب الله وسنة نبيه وبها صار القرآن والسنة مفسّر للأحداث الدموية ورافداً للجنوحات الذاتية والأخطاء الطبعيَّة بين المتصارعين على الحكم ومنهجة العلم..

وكما حصل هذا لدى المُفْرَطِين والمفرِّطين من المذاهب الإسلامية الأخرى.. ومنهم جمع من المحسوبين على مرحلة الملك العضوض وما تلاها..

فأهل السنة والجماعة.. فيهم الغث والسمين والخطأ والصواب ومنهجنا نحن (آل البيت) الفصل في الاختلاف بمواقف التوسط والاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط.

---

(1) لأن مسمى الإمام آل البيت كان سابقاً للمذهب الإمامي والحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والزيدي وغيرها

والإماميون الشيعة فيهم الغث والسمين والخطأ والصواب، ومنهجنا آل البيت فيهم الفصل في الاختلاف بمواقف التوسط والاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط.. لأن آل البيت سُفُن النَّجاة من طُوفَان الاختلاف والصراع، وهذا هو المقصود من قوله ﷺ: «**وعِترتي آل بيتي**».

فالذين جَنَحُوا بآل البيت نحو الكتلة والتعصّب هم الذين جعلوا من مذهبهم وتعصبهم سبباً من أسباب التحريش والفتنة بين المصلين، وقد جرى مثل هذا في سابق التاريخ أبان معركة الإمام علي رضي الله عنه مع معارضيه، عندما تشدّد الشيعة كتوجه وليس كمذهب في قضية التحكيم وألزموا الإمام الرضوخ إلى الصلح، فقال لهم: «**احفظوها عني: إنها كلمةُ حَقٍّ أُرِيدَ بها بَاطِل**» يُشير إلى موقف رفع المصاحف على الرماح مطالبين كذباً بتحكيم كتاب الله، فكانت بهذا الموقف دائرة الهزيمة باسم الصلح الذي أراده الشيعة ولم يُرده إمام أهل البيت..

ولو تأمل العقلاء مثل هذا الموقف وتجرَّدُوا عن العواطف والأفكار الذاتية المسبقة لعرفوا كيف يُجْرَحُ آلُ البيت اليوم بمواقف انفعالية مُشَابِهة ليس للإسلام فيها ناقة ولا جمل، وإنما هي نعرات طبعيّة غَلَبَ فيها تحكيم الطبع وترجيح العصبية الذاتية على المواقف الشرعية والآداب الإسلامية وآل البيت منها براء.

وأما فِقْه الدَّعوة فهو عِلمٌ يلّم بوسائل الحكمة والموعظة الحسنة وأساليبها المتنوعة وبين الناس ويرتقي عند الحاجة إلى المجادلة بالتي هي أحسن وأساس هذا الفقه مواقف النبي ﷺ في المدينة أبان نشر دعوة الإسلام بين الكفار من قريش والأعراب ومجموعات أهل الكتاب وبين المنافقين الغارقين في الإفك والخداع والكذب والتمويه.

وبهذا العلم من فقه الدعوة ينطلق الداعي والراعي في معالجة الشعوب الإنسانية لهدايتها إلى الإسلام ومعالجة المصلين لجمع كلمتهم على قواسم الإسلام المشتركة.

أما فقه التداعي فهو ما عَبَّرَ عنه ﷺ بسياسة (أكلة القصعة) وما يتفرع من هذه السياسة الخطيرة في مسيرة العالم العربي والإسلامي عند فُقْدَان القرار العالمي وهيمنة القرار العلماني والعولمي، وكيف تُسهم الأنظمة ذاتها ورؤوس الحركة في العالمين بخدمة التحريش وتبنّي برامجه ومناهجه في التربية والتعليم والإعلام وغيرها، لينجح المستثمر الخارجي في تفكيك الأسرة الإسلامية وتحويلها إلى برنامج عمل تحت شعار (فرّق تسد) فيتم له الاختراق بوسائله ومسائله حاكماً ومهيمناً على الشعوب ومحطماً شرف عزتها بدينها ووطنها ووحدتها وقرارها وقد فُعِلْ.

ومن نماذج فقه التداعي تهوكات بعض الأنظمة المعاصرة ورؤوس حركتها داعية لنصرة الإسلام ومحاربة أو تهديد أعداء الأمة من اليهود الحاقدين والنصارى المستعمرين؛ ولكن على حساب سَلْبِ المذهبية السنية وإبادة أتباعها وهذا جزء من برنامج التحريش المسيّس الذي يستثمره الشيطان ووكلاؤه، ولا تبني به أمة ولا يتحقق به نصر لدين ولا مِلة وعِشْ رَجباً تَرى عَجباً...

لقد أُصِيبَ منهج أهل السنة بفقه التداعي ولم تقم له من بعد هذا قائمة، وكانت إصابته بتآمر الأمم من (أكلة القصعة) على قرار الخلافة وسُقوط حَامِيها الإسلامي، وتبوأ وكلاء الأكلة على مواقع القرار المجزأ تحت حماية (الأمم الآكلة) جيلاً بعد جيل يعملون جميعاً على تحقيق مرحلة الغثاء والوهن بإرادتهم وحيناً بغيرها، حتى انقسمت السنة على نفسها بفعل السياسة والتحريش[1]، ونقضت عُرَى الإسلام عُروة عروة وتحقق ما تنبأ به ﷺ حينما قال للإعرابي: «**إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمر إلى غير أهله**»، وقد فعل ذلك أكلة القصعة فوسدوا الأمر إلى غير أهله، فاتسع التداعي وامتدَّ فقهه الغثائي حتى جاء عصر الانكشاف وبروز العورات ظاهرة للعيان، فإذا بالسنة المصنعة تُنَازع الشيعة المُقنعة وتَأبَى قبول انتصاراتها في لبنان وفلسطين بمجرد كونها انتصارات الشيعة، وقد أشرنا سلفاً إلى تفسير الإسلام مثل هذه الظاهرة فالجهاد في سبيل الله قاسم مشترك يجب مُنَاصَرة كل مسلم أو جهة يتحقق على يدها ذلك النصر حيث لا علاقة لهذا بالمذهب، وإنما علاقته بحسن الاستعداد والكتمان وعدم اختراق الغير.

وقولنا أنها الشيعة المقنعة.. لأنها لا زالت تحت قِنَاع الزمن ولم تُسفِرْ عن حقيقتها الغائية في مرحلة التداعي.. فربما استفاد البعض من شعار الجهاد ونجاح موقفه ليعزي ذلك إلى المذهب ذاته.. فيكون بهذا دور خطير من التحريش بين المسلمين.. وللأسف..

وأما مَا عَبَّر عنه بفقه المذهبية فهو قاسمُ الإسلام المشترك لدى المسلمين ولا خلاف بين المسلمين عليه عبر التاريخ الإسلامي المذهبي كلّه إلَّا ما كان بين الأتباع من الرَعُونَات والخُرُوقَات المحدودة التي لا تُؤثر على القرار الإسلامي في العلم ولا تؤثر على سلامة العلاقة بين أهل المذاهب؛ بل وعاشت المذاهب المتعارضة في هذا الجو الرحب متجاورة المكان والزمان، كما هو لدى غلاة التشيَّع وغلاة المعارضين لهم.

(1) وصارت السنة في لُغة الإعلاميين المدرسة التيمية الوهابية السلفية فقط.. وأما غيرها من المسميات أخرى .. صوفية وقبورية.. وأمثالها من مدارس الجنوح والانحراف...اهـ

إلّا أن الخطر يبدأ من مستوى السلطة وامتلاك القرار وبروز أثر الاستغناء من الغير المؤدي إلى الطغيان، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى. أن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[1] فالذين يمتلكون موقعاً من السلطة في عصر ما قد يتجاوزون الحد في المعاملة مع من خالفهم المذهب والفكرة.. وربما أجبروا الغير على الصمت المطبق والعيش على حساب سكوته، والأمثلة في تاريخنا الإسلامي كثيرة ومتعددة.

وإذا ما كانت المذهبية السنيّة اليوم قد تمزقت إلى حدٍّ ما وذهبت عن موقعها الشعبي في المجتمعات إلا القليل.. فإن السنة المصنعة -كما أشرنا إليها سلفاً- هي اليوم رائدةُ المواجهة مع الشيعة المقنعة ومصارعة لها إلى أن يَقْضِي اللهُ أمراً كان مَفْعُولاً[2].

أما فِقْهُ التمذهب فهو الرائد السائد اليوم ونرى غالب المسلمين في مدارس العصر وكليات التعليم يتمذهبون كل يوم بمذهب وينتقون العمل بالأقوال انتقاء ولا يلتزمون بقول محدد أو مذهب واحد مسند.. بل هم اليوم يدعون إلى اللَّامذهبية ويرغبون في الخروج من دوائر الانتماء الشرعي تبعاً لثقافة المراحل ورعونات الجماعات والفصائل، حتى قال أحدهم في مجمع لرفاقه: «نحن لا نعترف بالمذهبية ولا بالصوفية فهي مشحونة بالمشاكل، نحن نعترف بـ٢٠ نقطة هي أساس منطلق الفكر الحزبي الإسلامي المعاصر».

وقال آخر : إن الفكر المذهبي فكر طائفي وعنصري قد أسهم في إشعال الفتن داخل الشعوب .. والحل الأمثل : الالتزام بالمنهج الديمقراطي القائم على التعددية وقبول الآخر ضمن سياسة وطنية مشتركة .

وكل هذه الأقوال حجة على الإسلام والمسلمين .. بعد أن صارت الأفكار المستوردة في العالمين العربي والإسلامي قادرة على احتواء الصراع بالقاسم السياسي المشترك .. بينما تفشل الأمة الإسلامية في إحياء القاسم الديني المشترك .. القاسم الذي جعله الله في الحياة أنموذجا للعدل والسلام والمحبة والرحمة ..

وهل بعد هذه الهزيمة من هزيمة .. وإحباط ..

---

(1) سورة العلق: ٦-٧.

(2) ما يدور في العراق اليوم مثالاً بيناً على ما أشرنا إليه من تمزق السُّنة كمجموعة أمام اعتداء الشيعة كمجموعة أيضاً مذهبية تحت رعاية القرار الكافر المتمثل في القوى المشتركة المتضافرة عالمياً على استثمار المعركة وتنفيذ سياسة فرّق تسد ليخسر الجميع شرف علاقتهم الأبوية ويعملون لحساب الشيطان في إقامة مملكته الأنوية ساء علموا ذلك أم لم يعلموه .

لَنْ يَصْلُحَ أَمْرُ هذه الأمّة إِلَّا بِما صَلُحَ بِهِ أوَّلُهَا

إن مشكلة الأمة اليوم تكمن في ضياع صيغة الحل، وتخبط الجميع في افتراضات العلاج وفق الفقه التجريبي للأمور كما هو حال المرضى المعتمدين على افتراضات الأطباء الشعبيين التجريبيين، حيث يلعبُ الحظُّ الدور الأول في النجاح والفشَل.

وإذا ما تأمّلنا نماذج المؤلفات المتنوعة ذات الصبغة الفكرية من وجهات نظر المفكرين الإسلاميين أولي الانتماءات المذهبية أو المؤلفات من وجهات نظر غير المذهبيين من أولي الأفكار المعارضة، نجد التناول الفكري لا يتعدَّى رُكام الانفعالات المتوارثة عبر المراحل المتقلبة، ولربما كان غالب هذه المؤلفات يبدأ في التشخيص ثم المعالجة من نقطة تكوّن مذهبه أو تكوّن الموقف المعارض له، ومقتضيات حوادث مرحلة المنطلقات الحادثة فيه.. منه وإليه.

فهناك على سبيل المثال.. من يجعل (الإسلام وتصحيح مستقبله) مَرْهُون بالتصوف وثوابته، حتى أنه يصرُّ على أن إسلام الصوفية هو الحل، وآخرون يرون أن سلامة الأمة حاضراً ومستقبلاً مرهون بامتلاك آل البيت النبوي قرار الحركة، بينما يرى غيرهم أن الحل الأمثل يكمن في عزل الأمة تماماً عن الصراع الفكري المذهبي واستبداله بالفكر الحركي الحزبي إسلامياً، أو غير إسلامي..

والعولميون المعاصرون يرون الإسلام ومجموعاته جزءاً لا يتجزأ من الإرهاب المحلي والإقليمي العالمي، ولابد إذاً من محاصرة البؤر الحركية في العالم الإسلامي وتذويبها في الأُطر السياسية المبرمجة لأحكام السيطرة عليها من جهة، ولتوجيهها عند الحاجة وفق المسارات المستثمرة في المراحل المسيّسة.

وهكذا نعيش الأزمة ونُسهم في تعقيدها ولن يتخلَّى أحدٌ عن وجهة نظره أو تصوراته التي ينطلق من خلالها لتفسير الحياة وما يدور عليها.. لأن دافع المواقف مفرزات الأحداث وليست مواقف النبي ﷺ كمبعوث مرسل يرجع الأمر كله إليه في الصواب والخطأ والنجاح والفشل.

وهذا الأمر أدى بالضرورة إلى أن يصبح سلوك الجميع باختلاف وجهات نظرهم وسيلة إبليس في إنجاح مشروعه الأنوي.. وربما هم لا يعلمون.. ولهذا يدافعون دائماً عن وجهة نظرهم بحماس..

لقد سَاءَنِي يوماً كتاب لأحد المفكرين المنسوبين لمدرسة آل البيت الإماميّة.. وهو يرسم مستقبل الأمة من خلال أحداث التاريخ الإسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ ويصوِّر الصحابة المتلقين شرف الصحبة

باللصوص والخونة وطلاب المال والجاه.. ومن ثم يضع معالجة المستقبل في يد أشباهه وأمثاله على أساس إعمال السيف وإراقة الدم انتصاراً للمظلومين من آل البيت، حيث يرى – من وجهة نظره – مساحة العالم العربي والإسلامي ملوثة بانحرافات الشيخين وبني أمية وبني العبّاس.

والطامة الكبرى أن هذه الأفكار نابعة من قناعات مصيرية قوامها الغِيرة على الإسلام والديانة.. والإسلام والديانة إنما صلحت بالمتبوع الأعظم ﷺ ومواقفه الشرعية من الأحداث والتحولات.. ولم يقم الإسلام والديانة بحوادث الفتن وما ترتب عليها من التخوين والتكفير والتشريك واللعن والشتم .. وما شابهها من طفرات الطِباع الذاتية.. بل أن عودة المفكر المسؤول عن تاريخ الشعوب وأمانة الرسالة إلى مواقف الرسالة ذاتها في ضبط عواطف المظلوم، وكيف يحقق مطلبه وحاجته أمام الظالمين لَوَجَد العلاج الأنجع والموقف الأنفع من التصورات الطَبَعيَّة والقفزات النوعية.. لأن الإسلام دينُ المعالجة، لا دين السفك للدماء، بل حتى آل البيت أنفسهم وخاصة أئمتهم الأعلام بدءاً بالإمام علي باب مدينة العلم، ونهاية بمن جاء من بعده لم يطالبوا أحداً بالثأر لحقوقهم ولم يوصوا ولداً ولا محباً أن ينتصر لذواتهم أو أن يطالبوا منافساً أو مغتصباً بإعادة حق من حقوقهم غمطهم فيه حاكم أو تغاضى عن الإشارة إليه عالم، فقد كانت نفوسهم رضي الله عنهم أكبر من أن تُنازع أو تُصارع في سبيل الدنيا وما فيها، وما كانت مواقفهم التي عرفت عنهم في حال امتلاكهم للقرار أو عند فقدانه لسببٍ ما إلَّا مثالاً للعدل والصبر وحُسن المعاملة، والنظر إلى ما عند الله من الثَّواب وحُسن العاقبة، وهذا هو المنهج المفقود لدى المحبين، والمبغضين معًا.

لقد أَفْرَطَ المحبون بقافلة المحبّة حتى تحوَّلت الطريق إلى كراهية وحقد وتعقب وتربص وخداع وتمويه وتَقيَّة، ولم يترك هؤلاء للشيطان من حِيلة افتعلها للإغواء والاحتناك والبتر والاجتثاث إلَّا حملوها آل البيت في سبيل ثأرهم من الشيخين ومن في دائرتهم من الصحابة كعبدالرحمن بن عوف وغيره، وكأننا نعيش جاهلية دموية جديدة تحمل الإسلام رسماً وتسقيه من مفاهيم أتباعه ومعتنقيه حِقْدَاً ودَماً.

ويبدو –والله أعلم– أن جذور المشكلة كانت أليمة ومفجعة حيث شهد المحبون لآل البيت بِرك الدم وحَصْد الرؤوس التي قام بها حُكام المُلك العضوض من أغيلمة قريش ومن شايَعهم في العصور الغابرة، فحفظوا العِدَاء في النفوس، وأوغروا صدور الأبناء والأحفاد حتى صار كل شيء ينتمي لمرحلة المُلك العضوض مَبْغُوضاً ومَحْسُوباً على سلطان المرحلة وقادتها، وهذا أنموذج (الشيعة) الذين حَارَبُوا عصر بني أمية وبني العباس، أما الذين تناولوا مرحلة الخلافة الراشدة ذاتها فقد جعلوا من السقيفة والبيعة لأبي بكر وما ترتب على ذلك خيانة وكفراً ونكثاً للعهد وخروجاً عن الجادة، مع أن الصحابة الأجلاء وهم الحجة في

القبول والرد لم ينكر منهم أحد مواقف الخلفاء ولم يجيش أحداً منهم جيشاً يُحارب به من خالف أو بايع لأبي بكر وعمر وعثمان، ولم تصدر الزهراء رضي الله عنها ولا الإمام علي كرّم الله وجهه فتوى كفر ولا مُرُوق من الدِّين في حق أجلاء الصحابة، وإنما جاءت الفتاوى والمواقف المفرِّطة بعد أن انفرطت عُرى المسلمين وذهب نور الخلافة الراشدة كلَّها وعندما اشتد أوار الفتن وبرز النفاق والشقاق وتدخل السبئيون والخوارج وغُلاة المرجفين من الأعراب والشعوبيين من سائر الأمم، وهذه مراحل أخرى قد أدانها المصطفى ﷺ، وحدد الفساد في رموزها ورؤوسها وأقماعها المتلونين، والعياذ بالله...

وبرز فيها تنوّع المواقف من آل البيت رضي الله عنهم لإقامة الحجة وسن منهج الاقتداء المتَّبَعُ في خِضَّم الفتن، لِيهلَكَ من هَلَك عن بينة، فبعد مَقْتَلِ الإمام علي أجمع القوم على خلافة الإمام الحسن رضي الله عنه، وشَهِدَ الإمام الحسن الخطر ماثلاً بين عينيه من طرفي الإفراط والتفريط فاتخذ موقف الاهتداء والاقتداء، وهذا ما نحن اليوم وقبل اليوم بصدد الإشارة إليه.. كسُنَّة من سُنن الخلفاء الراشدين المهديين.. وهو الموقف الذي لم يستشر فيه الإمام الحسن شيعته ولا من أحبَّه وإنما اتخذه قراراً ذاتياً أغضب عليه شيعته وأتباعه ولم يبقِ في صفِّهِ إلَّا أهل بيته، وهذه مواقفنا أمام الفتن نحن أهل البيت قديماً وحديثاً.

ويعتبر هذا الموقف نقطة التحول.. بصرف النظر عن المكاسب التي اكتسبتها مدرسة الملك العضوض.. والنكاية التي وقعت فيها شيعة آل البيت.. وبصرف النظر أيضاً عن الخيانات المتلاحقة من طلاب السلطان وعُشاق الملك والحكم.

إن وقائع التاريخ مُؤْلِمَةٌ وخاصة عند النظر إلى سلسلة الخِيانَات المتخذة في طريق أكابر آل بيت النبوة ومن ارتبط بهم وأحبَّهم،

ولكنَّ الإنصاف واجب وخَلْطُ الأوراق حرام، والتثبت والتريث في شأن إصدار عموم الأحكام وعي وسُمو ووراثة، فالحِقْدُ في الإسلام لا يُوْرَث.. وأسباب الحروب لا تصدر من مسلم لمثله، هذا مخالف للنصوص ولمواقف الدعوة الخاتمة ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[1]، وكأنِّي بهذه العيوب والأمراض المتداولة اليوم قد أخذت على المتدين شرف ديانته وألصقته بالجاهلية وموروثاتها، فالحقد الطائفي يعصف بالعلماء فضلاً عن الدُّهماء، والنظر في العيوب والأخطاء التاريخية صار مَغْمَزَاً لا توبة منه ولا حِلم ولا صَفْح في شأنه ولا رجوع.

---

(1) سورة الأنعام: ١٦٤.

والشيطان يشب النار تحت الرجل المنصوب لتشتغل الشعوب بهذا الغليان دون أن تفكر في العاقبة والمصير بل حتى لا تفكر في محتوى هذا القِدر المنصوب وما فيه وأن الذي هو فيه لحوم الشعوب الهالكة التي جلب الشيطان عليها بخيله ورجله حتى صارت وجبة الشيطان الدسمة في معركة الغليان...

نعم .. لو افترضنا أن قاتلا ما تحمل مسئولية مقتول، وكان أهل القتيل يطالبون بالثار ولا يطالبون بالقصاص، فمن يكون المُهدّد في هذه القضية وما الحُكم فيها؟ والإجابة الصحيحة: إن التهديد يشمل الجميع، إذن فهذه قضية قبلية عنصرية جاهلية ولا علاقة لها بالإسلام وآل البيت ولهذا ففي عُرف القبائل لابد أن يتدخل بعض الوجهاء ورؤساء العشائر لإيقاف خطر النزيف ويلقون بوجوههم –أي عوامل الصلح وأسبابه – فيقبل أهل المقتول وجوه الناس لشرفهم وعزتهم ورجائهم وتنتهي المشكلة وتزول الضغائن وتعود الأمور إلى مجاريها، وهذا شأن قبلي وحكم قائم على العلاقات البدوية ولكنه انتهى وتوقف أثره بمِثْل هذا التدخل والوجاهة.

وأما قضية مقتل الحسين مثلاً وقد قُتِل قَبْله الإمام علي رضي الله عنه فلم تَنْتَه ولم تتوقف فيها قضية المطالبة بالثأر برغم بُعد مسافة الزمن بين المقتول والشهيد وبين المطالبة بدمه في القريب والبعيد بل تحولت إلى تأجيج نار تشب في الكبار والصغار والذَّكر والأنثى وشَمَلت كل شيء في أبناء الديانة بدءًا بالقرار ذاته ومن يَرِثه من المسلمين ونهاية بكلّ مَن ينتمي لمذهب أهل السُّنة في العالم ولو كان من آل البيت الأطهار، وهذا من أغرب وأعجب ما عرفته الإنسانية في تاريخ الأحقاد والثارات والعصبيات.. أليس كذلك؟

إننا لسنا بصدد إلزام المحبين لآل البيت [1] – كما يسمُّون أنفسهم – الرجوع عن المحبة وعن التعلُّق المحمود، وإنما نحن بصدد التوقف عن المطالبة الدموية حتى لا تصير قضيتنا ثأرًا قبليًا وعملاً انتقائياً يشغلنا بدَمِ الحسينﷺ وما ترتب على ذلك، من تأجيج صدور الأتباع والأشياع، فهل في هذا التأجيج وجه شرعي في مبدأ القصاص.. أم هو مبدأ طبعي يعبر عن قضية الثأر والدم ويقلق الشعوب الآمنة ويسهم في تدويل القضايا وتحجيم عيوب الأمة، إننا نبحث عن حل، ونودّ أن نتنازل من أجل سلامة الأمة لأن الكثير يقرءون التاريخ بعيون مريضة وقلوب حاقدة وجدير بنا جميعًا أن نتجاوز قراءة التاريخ المقلق ونفتح صفحة

---

(1) أشك كثيرًا في مسألة المحبة لآل البيت عند غلاة المنهج المشار إليه لأن المحبة كما نلاحظها لا علاقة لها بعنصر آل البيت كذوات وإنما هي العلاقة بالفكرة وربما عُودِي آل البيت أنفسهم إذا خالفوا فكرة أهل المحبة المزعومين.أ هـ

المواقف الأولى التي دعينا إلى الاهتداء بها ومن هذه القراءة نفهم المراحل الأساسية التي ربطتنا بالإسلام وأرست قواعده وأحكامه وهي مرحلتان:

الأولى: مرحلة الرسالة من البعثة إلى الوفاة، بين مكة والمدينة، وهي المرحلة المُجمَع على سلامتها بدون نزاع.

الثانية: مرحلة الخلافة الراشدة من عهد أبي بكر الصديق إلى تنازل الإمام الحسن، وهي المرحلة التي ترسي دعائهم الاجتهاد المُجمَع عليه لدى صدور الأمة من الصحابة والآل الكرام، وهي أيضاً المرحلة المدعومة بالنص الشرعي من جهة «**الخلافة ثلاثون عاماً**»، وبمواقف الخلفاء الراشدين المهديين وقبولهم الواقع ومشاركتهم فيه كموقف الإمام علي من الخلافة، وموقف الأنصار والمهاجرين الصدور.

أما ما جرى بعد هذا من مصطلحات ومسميات فأساس ما نحن بصدده منهج الاعتدال لدى الآخذين بمنهج السنة والجماعة وشيعة آل البيت، وأما طرفي الإفراط والتفريط فيهما .. فيحتاج إلى إعادة نظر وإدانة واعية وتقييم يلزم الأطراف بقبول مواقف الأئمة والخلفاء الراشدين ويطوي صفحة الانفعال والجدال التي يؤججها الشيطان في الأجيال .

ولكن هل ياترى يمكن تحقيق ذلك ..؟؟؟

المَقْتُول في عَصْرِ صَدْرِ الإسلامِ والمَقْتُولُ به في عَصْرِ الإعْلَامِ

كان من مهمات فِقْه التَّحوَّلات إبراز عنصر الخطأ في مواقف المتعصبين مِنَّا جميعاً حول أخطاء التاريخ السياسي ومجريات حوادثه، حيث أن النظر إلى مرحلتنا قراراً أو معرفة وعِزَّة وهَوية وغِيرة على الإسلام ليس كتلكم المرحلة التي جرت فيها الأحداث والوقائع من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن تلك المراحل كانت حاكميتها الإسلامية لا تنطوي تحت سقف كافر (كالأمم المتحدة) اليوم، فالقرار الإسلامي اليوم هو مجرد أصوات مبعثرة داخل خيمة يمتلك قرارها الأعداء، وبإمكانهم هندسة القرار المجزأ وفق السياسة الدولية، وقد فعلوا، ولن تقدر قوة إسلامية أو عربية ضمن هذه الأوضاع أن تستعيد للإسلام قراراً عالمياً على الإطلاق، وإنما قد تحقق لها نصراً قطرياً أو قومياً على رؤوس وعلى حساب أمثاله من المسلمين لا غير، وبإذن حاملي القرار العالمي.

فالمدرسة التيمية العربية مثلا كان امتدادها في الجزيرة جزءاً لا يتجزأ من مكاسب النظام العالمي المحرك دفة الأمور في المرحلة الغثائية، رَغم أن أقماع المدرسة وأتباع الزفير والشهيق يسمونها مرحلة تجديد للإسلام.. وكانت هجمتها مركزة على من بقي من أهل السنة والجماعة، والمدرسة التيمية جزء منها في الأساس إلَّا أنها انفصلت عنهم بتبنيها برنامج التوحيد السياسي في جزيرة العرب وبه استباحت الدماء والأموال والقِيم، وكانت ضحيتها بادئ ذي بدء مدارس أهل السنة ذاتها صوفية ومذهبية وآل البيت، ولم تبقِ المدرسة التيمية لآل البيت من أهل السنة عين ولا أثر بدءاً بالأرواح ونهاية بالأشباح وعِظام القبور.. وكان سَندُهَا الرئيس النظام العالمي وبه لا بغيره اكتُشف البترول واستثمرت الثروات واختُرِق الواقع العربي والإسلامي وقُلِبَ رأساً على عقب وكسرت الضرائح وسويت قبور الأولياء بالأرض لأن المستثمر العالمي يتحسس من مظاهر (ما سمي بالشرك الإسلامي) وكذلك أعوانه لا يرغبون في بقاء شيء على ظاهر الأرض يثير التحسس لديهم، ومع هذا وذاك فهم لا صلة لهم به في واقع حركة التاريخ الأبوي الشرعي وإنما صلتهم برزت بواقع التاريخ المعاصر.. وها هو النظام العالمي ذاته يُعيد النظر في مُخْرَجات المدرسة التيمية وفروعها بعد أن حُقَن بها العالم كلّه وتحقق بها إسقاط مفهوم (أهل السنة والجماعة) كعلمٍ وقرارٍ شرعي ومواقع وآثار، وبقي (أهل السنة والجماعة) في حدِّهم الأدنى الحدِّ الشعبي، أما الحدُّ الرسمي فأهل السنة والجماعة هم المجموعات المجنَّدة في المرحلة ضد (المذهبية والصوفية وآل البيت) السنِّيِّين وهم الذين أَطْلَقْنَا عليهم سابقاً (السُّنَّة المُصنّعة)وما أثمرته مدارسهم المهيأه من حماية مؤسسات وبنوك ومصارف

وشاليهات ومسابح وفنادق ومنجزات حضارية مقابل ما أوقف من مدارس وأربطة ومعاهد وزيارات الصالحين ومجالس السيرة النبوية واحترام آل البيت ومن سار بسيرهم .

ومن أجل استمرار دور المسخ المرسوم للإسلام كلَّه فلابد من تفعيل الصراع بين الأمة في الواقع، وذلك من خلال الإجهاز على (أهل السنة الصحيحة) بإثارة الفتنة بين طرفي الإفراط والتفريط في السنة المصنعة والشيعة المقنعة ليتحقق للنظام العالمي ضرب كل شيء ينتمي للإسلام الحق بوجهين:

١ - إخماد صوت العقل والاعتدال والوسطية في المسلمين عموماً.

٢ - إظهار صوت الصراع والانفعال بين حملة الإفراط والتفريط، وهذا ما تشهده مرحلتنا المعاصرة تحت سمع وبصر القوى العالمية مهندسة الغثائية ومستثمرة صراع أطرافها المجزأة.

الوجه الثاني: كافة المعارك المذهبية والطائفية المُثَارة اليوم على الساحة العربية والإسلامية تعدُّ من وجهة نظر فِقْهُ التَّحولات جزء لا يتجزأ من برنامج التسييس العالمي ضد الإسلام عموماً وضد ما بقي من صورة وحدة المسلمين واجتماع قرارهم، ولا علاقة البتة بمسألة الغِيرة على آل البيت واسترداد حقوقهم المسلوبة ولا على الإسلام ووحدته العالمية.

فالسالبون لحقوق آل البيت قد ذهبوا.. وآل البيت المظلومون قد قُبِرُوا أحياءً وأمواتاً وذهبت دولة المُلك العضوض وملحقاتها ولم يبقَ لآل البيت ولا للإسلام كلّه نصير ولا سند يُعْتَمد غير من سماهم النبيﷺ بالأصفياء الأتقياء الأخفياء.. أهل الفرقة الناجية ، وهم الشُّعث الغُبر المدفوعون بالأبواب يموت أحدهم وحاجته في صدره، وهؤلاء لا يعيشون إلا في أحضان الشعوب يعانون ما تعانيه بسطاء الأمة من سياسة القبض والنقض حيناً باسمهم وحيناً باسم أضدادهم.

وبهذا تكون العمليَّات المُفْتَعَلَة على مساحة الإعلام وأيضاً على ساحة المعارك الدامية جزء هام ومفصل قاتل في الإجهاز على الجسد الإسلامي الهالك..

ولأن الإنسانية قد الفت أساليب الدجل منذ أن لَبّسَ إبليس دجله المسيَّس على آدم وحواء.. وجنَّدهما ضد الأمر الرباني حتى أكلا من الشجرة.. فهو اليوم حريصٌ كل الحِرْصِ على إتمام هذا المشروع ليوصل البشرية إلى حيث يريد من الاحتناك والدمار والهلاك، وإذا كان الإفك والدجل قد انطوى على آدم وحواء بوسائل بدائية، فالإفك الشيطاني والدجالي المُعاصر قد تطوَّر كثيراً عن ماضيه البدائي التقليدي واشترك الجنسان من آدم الرجل وحواء الأنثى في هذا المشروع الخطير.

والمشروع الشيطاني الخطير قائم على مبدئي (الاستحواذ والوسواس) ومهمة الاستحواذ قائمة على حَشْرِ الشعوب في الفِتن ومُضلاتها..

وأما الوسواس فهي مهمة الاحتناك للعقلاء والصدور والقادة حتى يُبلوروا الشر في معرض الخير ويحببون الهَتْك والقتل بالأماني وقَلْبِ المعاني من خلال التوجيه المعنوي والتربية الإعلامية وتأجيج العواطف والطموحات والعقد لترتفع درجة الحرارة لدى المصابين بهذه العلل فيتوجهون بها عُمياً بُكْماً وصُمّاً يُنفذون المشروع ويُفرقون المجموع، ولكُلِّ عاطفةٍ عَوامل، ولكُلِّ طُموحٍ هِمَّةٌ، ولكل عُقْدة انفعال، والقضاء والقدر يُحرك الجميع ولا يسلم إلَّا من سلَّمه الله، ولا يَفْهَم إلَّا من فَهَّمَهُ الله.

لقد ارتكس الكثير من المسلمين في وراثة العداوة المكتسبة من خلال نماذج القراءة لبعضهم البعض على أساس المراحل ومخرجاتها، وهذه القراءة من هذا النوع والنمط إنما هي قراءة المدرسة اليهودية لا قراءة مدرسة الإسلام، فالإسلام لا يؤاخذ الابن بجريرة الأب ولا يؤاخذ الأب بجريرة الابن ولا القبيلة بالفرد ولا الفرد بالقبيلة واليهود إلى اليوم يكيلون لكل مسلم الضغينة لأنه من أتباع محمد ويؤججون نار الصراع الطبقي والاعتقادي والطائفي في قراءة المراحل وسيرها لأنه يحقق ثاراتهم في أمة محمد كما يحقق رغبة الشيطان العليا في قراءة المراحل وسيرها.

إن أمامنا في قراءة فِقْه التَّحولات اتجاهان:

الأول: اشتغال بمسألة امتلاك القرار والمنازعة في شأنه جيلاً بعد جيل مع صعوبة البناء الشرعي للعلم ونشر الدعوة إلى الله بين الناس لاستمرار التوتر والصراع سواء في تفسير مواقف الصحابة والمنازعة في مسألة الخلافة أو في بقية مخرجات المذهبية المخالفة منهج أهل السنة والجماعة، والتعصب عندها.

الثاني: الاقتداء بمن تجاوز مسألة القرار للمشاركة في بناء الاستقرار بالعلم والعمل والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع عدم ممالاة الظالم في ظلمة، ولا استتباع المندفع في اهراق دماء الناس ودمه، وربط الجميع بمنهج السلامة من كافة الوجوه، وإشاعة مَبْدَأ القَواسِم المشتركة في العمل بثوابت الإسلام وحمل المُخَالِف فيما قد يُختلف عليه بدليل إمامه.

إنّ المَفْصَل الخَطِير الذي أَخْطَأ البعض في تفسيره حمل الضَغِينة والبَغْضَاء لكُلِّ ما بَرزَ في مرحلة المُلك العَضوض، ونسبة ذلك إلى القرار الأموي علماً ومذهباً وديناً ودنيا، والحقيقة تَقْتَضِي أن يُميِّز المرءُ بين موقع القرار وعلمائه، وبين صَالحي علماء أهل السنة والجماعة من آل البيت أنفسهم ومن محبيهم وأتباعهم، فالخلط

المُشَاع ظاهرةٌ غير صحية في الوعي الإسلامي، بل هي مَرضٌ خطير وقاتل، ويُخْشَى أن يكـون مـن خَلْفِهَـا الشَّيطان ووكَلاؤُه لإشعال فَتِيل العَداوة بين المصلين، كما فَعَلَهَا مع مدارس الوهابيَّة والسلفيَّة ضِدِّ إِخْوَانِهم مِنْ أَهْلِ المذهبيَّة والصوفيَّة، حتى تَأَجَّجت العَداوات وانتُهِكَت المحـارم، وتحـول المـسلمون فـيما بيـنهم إلى طُلّاب ثأر لم ينقطع عبر القرون، ولن ينقطع حتى يعود الجميع إلى مواقف المتبوع الأعظم ﷺ..

لقد تصوّر السلفيون الوهابيون التيميّون.. أنهم نَصَرُوا التَّوحيد في الأمَّة وأَعَادُوا للإسلام حقيقة العمل بالسنة .. فصاروا يتصرفون من داخل القرار الذي هيَّأته لهم المدرسة (العلمانية – ثم العلمنة – ثـم العولمـة) في مراحلها الثلاث أنَّهم البديل الحق عن الصوفية والمذهبية وآل البيت.. فجـاءت لغـتهم في سـاعة النـشوة حُمماً على الإسلام الأبوي ورموزه.. المذهبيين والصوفين.. وخلطـوا الحابـل بالنابـل وهـم في حمـأة العمـى الناتج عن شطحة الانتصار. ولا زلنا نسمع من خطبائهم ومشايخ منابرهم من يصوِّر للنَّاس حال الصوفية انهم أشدُّ حالاً وأنكأ اعتقاداً من أبي لهب وأبي جهل.. وأنهم لا يتورعـون مـن نكـاح البهـائم والـذبح عـلى القبور واعتقاد الضر والنفع في الأحجار والأشجار والألبسة والتمائم... والخ..

ومثل هذا السَفَه إنما يصدُر من أحد طرفين.. مُفْرِطاً في الديانة أو مُفرِّطـاً في إصـدار الأحكـام حولهـا.. فالذين يُقال عنهم أنهم ينكحون البهائم ويذبحون على القبور ليس لهم وجود في عالم الحس، وربَّـما جـاءت من خيالات أفلام الكرتون وإبداعات المسلـسلات والمسرحيات المعـاصرة التـي تكوَّنـت منهـا خيـالات المفكرين المعاصرين؛ لإقناع جيل الشاشات وضحايا الأندية والألاعيب والفنون بسلامة ما هم فيه وعليه.. حتى لا يتطلعون إلى زهدٍ ولا تصوفٍ ولا مذهبيةٍ.. فلا شيء لدى السلفيَّة في المذهبية والتصوف غير نكـاح البهائم والانطراح على الأموات..

وكم انزعجنا وانزعج غيرنا من سماع هـذه الحكايـات المنثـورة عـلى شـعوب الأمـة .. إمـا مكتوبـة أو مقروءة.. وأعدنا النظر مرات وكَرات في صفوف أهل التصوف ورجال المذهبية وعلماء آل البيت فلم نجـد من هذه النماذج أحداً بعينه يُشار إليه بمثل هذا الإسفاف .. كما إنا لم نجد عَبْرَ سير المراحل الغُثائيـة الـثلاث من خرج من هذه المدرسة ليشهد بنفسه مجمع نكاح البهائم لدى الصوفية إن كـانوا قـد صـاروا مـن الخِـسَّة والدناءة على هذه الصفة.. ولكنَّا نشهد كل يوم في كافة مجتمعـات الغثـاء تـرويج الإعـلام الحـرام والفـسق والانحلال وفعل المحرمات عياناً بياناً.. وفي داخل مجتمع السلفية الواسع من يبيع ويشتري ويـستورد هـذه الوسائل ويربح من خلالها..

إنَّها مِحْنَةٌ كُبْرَى.. يَصعب مَعها تحديدُ المَرض فَضْلاً عن تَقرير العلاج، وليس لنا من مخرجٍ واضحٍ غير المواجهة السَّافرة مع هذه العقول الخيالية؛ لتفهم موقعها من أمة الإسلام عموماً وموقعها من العَمالة المعاصرة خصوصاً حتى لا يستفحل الداء في هذه المرحلة الحرجة «مرحلة الوسطيَّة الخَيالية» وقد استفحل...

وتجد المدرسة الانفعالية مَوقِعاً جديداً ومنطلقاً مُفيداً على طريق التفريط المقنن .. كما وجدت المدرسة الشيعيَّة الانفعالية موقعاً مماثلاً ومنطلقاً خطيراً على طريق الإفراط الملوَّن..

من يفهم..؟ من يسمع..؟ من يدرك..؟ ولا زلت أرفع صوتي وحرف كلمتي .. من يفهم.. من يسمع؟ من يدرك؟..

لقد اتحدت قضية الإفراط عند الجميع مع قضية التفريط عند الجميع؛ لتصبح بإذن الشيطان منطلق الحرب ووقود الفتنة بين المصلين.. ولا مكسب أبداً ولن يتنعم وهابي ولا شِيعي ولا سُنّي ولا صُوفِي ولا غيرهم بطعم الديانة الصحيحة إن لم يعملوا على تحرير عقولهم من رُكام الفِتن وأسباب الصراع والنزاع..

فالخطر الحقُّ ليس في تعصّب المدارس والفرق والجماعات فحسب، وإنما في هذا الإصرار على الفكرة وازدياد التكتل حول المفاهيم حتى تسال الدِّماء وترمل النساء وتيتم الأطفال، ويحقُّ فينا ما حقَّ في بني إسرائيل ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[1] ..

وإذا ما أردنا معرفة العِلة الفاشية في عقول أهل الإفراط أو التفريط يجب علينا العَود إلى دراسة جذور المنشأ الذي برز فيه شأن الإفراط لدى فريق كما برز شأن التفريط لدى فريق آخر..

فالجميعُ في هذا العصر وما يليه إنما هم ضحايا المرحلة .. والمرحلة لا رَاعِي لها غير قرار الكفر العالمي المهيمن.. وإذا ما تنازلنا عن مفهوم العالمية إلى الإقليمية لوجدنا أن الأقاليم العربية الإسلامية لا تحمل قراراً إسلامياً واحداً ولا مستقبلاً شرعياً واعداً.. وإنما كلها تعمل على تحقيق منجزات الواقع ومفرزاته وتطبيع الشعوب على قبول الخطأ ليصبح جزءاً لا يتجزأ من الصواب ومُعبراً عنه وناطقاً باسمه.. أليس كذلك..؟

وإذا ما جارينا العقول الهلامية الغارقة في الفهوم الاستسلامية، ودخلنا إلى كل بلد عربية أو إسلامية لوحدها بعيداً عن علاقتها بغيرها لوجدنا الحشد المثير من حركة المصالح المتداخلة بين حملة القرار

(1) الحشر: ٢.

أنفسهم.. وكيف يعيش الجمع داخل هذه الأقبية يرسمون الحاضر بالشك والريبة ويقرؤون التاريخ بالفشل والإدانة .. ويصنعون المستقبل بالأفلام وأقلام الفساق والكفار وأعين الأبالسة.. ويتعاملون فيما بينهم بالقلق وتبادل الأدوار..

ولهذا فما هو الداعي للحملات المسعورة ضدّ التاريخ وضدّ الحاملين للديانة بمعنى أو آخر مِمَّن يُتَّهمُون ويُدَانون على ألسنة الغارقين في الاتهامات والإدانات.

إنّ في رُكام الماضي والحاضر والمستقبل (خطٌّ ثالث) سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنمط الأوسط..وهو النمط المعتدل بين طرفي الإفراط والتفريط عبر الأزمان والمراحل وتطورات التاريخ سلباً وإيجاباً..

هذا هو النمط الحامل للمنهج الصحيح.. والمحافظ على بيضة الإسلام في مراحل الزوابع؛ بل وهو الحامل سرِّ الأصالة في مراحل استشراء فيروس العمالة.. إلّا أنه تيار بسيط الحركة ضعيف الأثر أمام التكتلات والانقسامات والانهزامات..

وكلنا يحتاج إلى هذا النموذج من المواقف والسلوك والمعاملة.. «النمط الأوسط» ولكنَّ المشكلة في المغالبة.. فالتراكمات المسئولة عن تكوين القرار الحامل صفة مشروعية الحركة في الواقع المعاش هي من تيار المغالبة.. وتيار المغالبة لا يؤمن بمفهوم الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي المُسمى بالنمط الأوسط؛ بل يؤمن «بالفعل ورد الفعل..» باعتباره قانون الحركة في عالم الحياة والجميع في سوق العرض والطلب يعمل تحت سرِّ هذا القانون.. وهو قانون يستفيد الشيطان من تفعيله بين الناس عموماً وبين أهل الديانة والتدين خصوصاً..

ولعلَّ الدفع الواعي – من الشعوب ذاتها – بإتباع النمط الأوسط وإعطائهم موقع الحركة النسبيَّة وفق الظرف الممكن دون تسييس ولا تدنيس سيعمل على خِفة حِدّة التوتر من جهة وسيعمل أيضاً على إيجاد التوازن النسبيّ في بعض مواقع الحياة المتفاعلة والدفع الذي نحن بصدده لا يمتّ إلى نظام أو تيار أو سياسة مجموعة معيّنة، وإنما هو الاستفادة من الظروف الممكنة لإبراز نمط السلامة في كافة شؤون العلم والتعليم والدعوة والتربية والثقافة والمعاملة.. دون حيف ولا إجحاف.. إنه سلوكٌ شعبي ينطلق من عمق حياة الشعوب ومن مدارسها الأبويّة المظلومة المدارس التي لا تعتمد على سند حكومي ولا حزبي ولا ميزانيات ذات معادلات معينة ولا رعاية جهة محلية ولا عالمية..

ربما استفاد منها الجميع ولكنهم لا يستطيعون استثمارها؛ لأنها لا تـشاركهم لُعبـة العَـرض والطلـب.. ولهذا هـم يستفيدون منها ما لا يحسنونه ويتناولون أئمتها ورجالها من باب القلـق عـلى مـراتبهم المبنيّـة عـلى القش السياسي الهش، ويعيش الكثير منهم كباراً على حساب تصغير أئمتها وشيوخها حتـى جعلوهـا لـدى طلاب مدارسهم وأتباع أسواقهم وأبواقهم دُمى وجَهَله ودراويش نَزو على البهائم .. ونعـوذ بـالله ممـا هـو أشدُّ وأنكى...

وللنمط الأوسط وجهة نظر واضحة حول طرفي الإفراط والتفريط وموقع الشيطان مـن طـرفيهما.. إلّا أن هذه المدرسة بطبيعتها لا تَنْحَى مَنْحَى الآخرين في الإثارة وتفعيل الصراع وإنما تـسعى إلى المعالجـة ودرء الفتنة والتنازل النسبي عن الحقوق الذاتية مقابل إقامة الحقوق العامة وسلامة المجموع.. وهذا ما لا يَفهمُـه الانفعاليون حتى من داخل الدائرة الواسعة لإتباع النمط الأوسط وأقول الواسـعة.. لأن هـذه الـدائرة لهـا أتباع ومعجبون ومؤيدون والفَرق الذي نحن بصدده أن سلوك رجال النمط الأوسط قد يختلف كثـيراً عـن طِباع المعجبين والمحبين والمتعلقين والمؤيدين.. وعَسَى أن يُفْهَم هذا بمعناه الصحيح..

فسلوكُ الإمام علي رضي الله عنه ومواقفه غير سلوك أتباعـه ومحبيـه المفـرطين وسـلوك الإمـام الحـسن ومواقفه رضي الله عنه تختلف كثيراً عن سلوك ومواقف أتباعـه ومحبيـه ، وتنـازل الحـسين في سـبيل المحبـة والنُصرة من الأتباع والمحبيّن كلفته روحه وروح العشرات من أهل بيته.. ولن يكون هـذا إلا قـضاء وقَـدَر قد كُتب عليه.. ودرسٌ يستفاد من طرفي الإفراط والتفريط في قاموس المحبّة والمحبين... وزهد الإمام عـلي زين العابدين في الأمر بكليته .. سواء قرار الحكم أو قرار المطالبة بالقصاص والثـأر يختلـف عمـن يطالـب بالثأر والدم وهو لا علاقة له بالأمر ما سوى دعوى المحبة وحدها[1]...

إن منطق الشّرع والعَقل يخاطب الجميع ، ويقول إن أحق من يجب أن يُطالب بدم الحسين هـو ابنـه عـلي زين العابدين وهو الوحيد من آل البيت الذين سَلِّمُوا من سيوف القوم في كُربلاء.. فما الذي أصابه في شـأن دم أبيه أولاً ثم ما الذي أصابه في عدم مطالبته بقرار الحكم إن كان مطلباً لآل البيت..

(1) هذا التعليل الواعي مختلف اختلافاً كثيراً عن تحليل الدافعين بأنفسهم وأمتهم إلى سـاحة الحـرب الطائفيـة في عـصر قـد ذهب فيه الجميع إلى عالم آخر وصرنا ومن يعارض منهج السلامة ضمن إطار العولمة كما كنا من قبل تحت إطـار العلمنـة والعلمانية.. وكذب من قال منا أو منهم غير هذا والحال من ومنهم يقتضي تجديـد المواقـف الأصـولية الأولى بعيـداً عـن التحامل المغرض والتحايل الممرض .. والنظر الواعي في حماية الداخل منا كأمة ذات قواسم مشتركة ضد خطـر الهجمـة العولمية في ما يسمى بالألفية الثانية.. وإعادة ترتيب الوعي والثقافة على أساس القواسم المشتركة بين المسلمين عموماً..

إن هؤلاء هم أهلُ النمط الأوسط الذين جهل الناس مواقفهم وتجاوزوها إلى مواقف طَبْعِيَّة صنعتها ظروف الأحداث وليست مواقف الرجولة في الرجال..

وقد استوفينا بعض هذا الأمر في رسالتنا المُسمَّاة «بقية السيف» فليراجع ذلك من أحب.. والله المُلْهم للصّواب.

جُذُور الفِتْنَة بين المَذْهَبيّن السُّنَّةُ والشِّيعَة

كان المسلمون جماعة واحدة يحملون مسمّى أهل السنة.. كتب السيد أبوبكر بن شهاب، ما مثاله: السنة والجماعة ما كان عليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كما جاءت بـذلك الأخبـار وجـاءت بالثنـاء عليهم والحثّ على أتباعهم، ومخالفة ما اتفقوا عليه أمر مذموم وروده إذ لا يمكن تضافرهم على خطأ وهـم الصدر الأول وسلف الأمة..

كما أن مسمّى الشيعة وهم محبُّوا أهل البيت ومتبعوهم والمُوَالُون لهم من تلـك الطبقـة مـنهم مـن أهـل السنة أيضاً وفيهم وردت أحاديث دالة على فضلهم وجزيل ثوابهم.. وهذا هو أصل الطـائفتين حيـث كانـا كما سبق ذكره صنوان لا يفترقان يشكلان جوهراً واحداً وأمةً واحدةً حتى جاء عصر المتوكل العبـاسي ومـا بعده بقليل بُعيد منتصف القرن الثالث الهجري حين تفشت عقائد الغلـو والانحـراف وبـرز بعـد انـدحار المعتزلة، وضعف مواقع فكرهم ما يميَّز بين المسلمين من الأفكار الدخيلة كالباطنية والشعوبية الحاقدة عـلى العروبة والإسلام، وغلاة الرافضة والخـوارج وغـيرهـم... وكـان المتوكـل وأنـصاره قـد قـضوا عـلى فتنـة الاعتزال بعد انتشارها أكثر من ثلاثين عاماً في عهد المأمون ثم المعتصم ثم الواثق وكان الإمام أحمد بن حنبل في طليعة الذين سجنوا وعذبوا، وأطلق المتوكل العباسي على تياره المعارض للاعتـزال مـذهب أهـل الـسنة والجماعة وسَمى المخالفون له منهج أهل الاعتزال وعلم الكلام [1].

ولا يخلو سابق هذا العصر من وجود المسميَّات الأولى للشيعة كمحبـةٍ وولاءٍ.. والـسنة كعلـم حـديث والتزام بالموروث الشرعي.. إلَّا أن تراث العلم وثمراته كانت مشتركة لدى الجميع ولم يصنّف أحداً مـذهباً بعينه يغلّبه على الآخر أو يسعى الحكّام إلى تغليبه على العوام.. بل كان العلماء أنفسهم يأبون ذلك كـما فعلـه

(1) يبدو أن هذا التعليل لايتفق اتفاقا صحيحا مع واقع الأمر حيث أن مذهب أهل الـسنة والجماعـة لم يـصدر بقـرار حـاكم كالإعتزال بل كان مذهب أهل السنة والجماعة مذهبا شعبيا خلال مرحلة الملك العضوض كله .. وأول مـاعرف مـسمى السنة والجماعة بعد تنازل الإمام الحسن حتى قيل لذلك العام عام الجماعة ..بل أن المؤلف ذاته قد أشـار في بدايـة قولـه (السنة والجماعة ماكان عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه) ولعله يقـصد بـالقول الآخـر مفهـوم التـسييس لمفهوم السنة والجماعة عند أهل فريق السلطان ، ولكن الفرق واضح ومعلوم بين من أطلق عليه هذا المـسمى مـن علـماء السلطان وبين علماء السنة والجماعة الذين اضطهدهم سلاطين وحكام الملك العضوض ..

الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور عندما أعجب بكتابه الموطأ وأراد الخليفة أن يحمل الناس على الالتزام به.. فأَبَى...

وبناءً على ما ذكر سلفاً.. فإن القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام هي التي شهدت التراث الشرعي المشترك بين المسلمين عموماً ولم يكن يميّز بينهما إلّا المنهج السياسي والموقف من هذا الحاكم أو ذاك، أما العقيدة والمنهج فواحد وكذلك العلماء والرجال والأئمة يجتمع فيهم مدلول التشيع النقي والتسنن المعتدل ومنهم أئمة آل البيت وأبناء الصحابة وكبار التابعين، وفي هذه المرحلة يقول المصطفى ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

ويبدو أن أساس الفتنة بين الفريقين.. هي فلسفة المواقف المترتبة على التَّحوُّلات.. ومدى قوة التعصب لدى فريق ضد الآخر..

وطغيان هذه الرؤى العمياء تقعيد شؤونها وتأصيل متناقضاتها حتى صارت منهجاً بديلاً عن منهج التوسط الشرعي والاعتدال الأخلاقي المنصوص عليه في المعاملة بين المسلم والمسلم، ولم يسلم من هذه الكارثة إلّا القليل القليل حيث أن الفعل ورد الفعل قد طغى على عجلة الحركة واستحوذ عليها، فصارت الأمور تتحرك من خلال أطماع حملة القرار وإقماع المنتفعين والمندفعين في زعزعة الاستقرار وضاع صوت التعقل والاتزان وتكوّنت مواقف الفلسفة للقضايا ، واتسع الخرق.. وانفرطت العرى -كما أشرنا سلفاً- وظلَّ كل فريق يتربص بالآخر ويضيق ويجذف في صياغة التُّهم وشرح وقائع التعليل والتحليل للمواقف منها ما يكون بحق.. ومنها بباطل .. والقبسة الصغيرة من الباطل كفيلة بحرق الحق وما ترتب عليه عند الاشتعال .. ولحقت الهزيمة بالجميع ولا منتصر في كل الأحوال غير الشيطان..

إن الوقفة الشجاعة من كافة الأطراف تقتضي التحرّر الواعي عن ملابسات المراحل والنظر إلى العلاقات الإسلامية بين المسلمين بعين النبوة ذاتها لا بعين التحولات والتقلبات وأعتقد أننا لن نخسر شيئًا لو تجردنا عن ركام الانفعالات ومواقف الحوادث وتصوراتنا لها.

حيث أن الإمام الحسن رضي الله عنه قد تجرد عن مثل ذلك برغم سلامة مطلبه واستطاع أن يبقي في صدره ما يختص بموقفه الذاتي حول مجريات الحوادث ومنها مواقف القوم من مرحلة خلافة والده وما ترتب على مواقف المعارضة له ومواقف الخوارج.

وكان رضي الله عنه أصدق القوم في قراءة التحولات حينما قال لأخيه الحسين وهو على فراش الموت: «يا أخي: إن أباك استشرف بهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر رضي الله عنه، ثم استشرف لها وصُرِفت عنه إلى عمر رضي الله عنه، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان رضي الله عنه فلما قُتِل عثمان بويع لعلي رضي الله عنه، ثم نوزع حتى جُرِّدَ السيف فما صَفَت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة.. فلا أعرفني ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك».

ولما جاءت ساعة الحسم الذاتية وبعيدًا عن تأثيرات المحبين والمتعلقين والمنتفعين والمندفعين ترجح ميزان التغافل عن كل ركام الحوادث وفلسفتها وما ترتب عليها لأنها ليست دينًا ولا رجو له..وإنما هي تحريش وخيانة وكان للأمانة والوراثة موقع أكبر من الحوادث وأشرف من الانفعالات وتشنجات العصبية والقبلية والثأر والانتقام.

ومثلها بل وقبل اشتباك الأمر إلى هذه الحالة كان موقف الإمام علي رضي الله عنه وهو موقف السلام المقتدى والموقف الذي عليه المعول لدى أئمة الدين وسادات آل البيت رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الاستفزاز المتبع لدى مدارس التحريش المعاصرة هو تسلسل تاريخي للاستفزازات التي عرفها الإسلام في صدر المرحلة، وبصرف النظر عن المسميات والتعريفات فالكاسب المستثمر من كل وجوه التحريش وألوان الانفعالات هو اللعين إبليس وهذا هو سلوك حزب الشيطان..﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

والسلامة المرجوة سد الثغرات ومعالجة الجراح وحسن المعاملة في مسيرة الغثاء المشترك والمناصحة في ذات الله ورسوله إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولا ..

إننا لا ننهزم أمام أعدائنا ولا نسلم لهم القيادة في سيرنا الى الله ، ولن ننطوي تحت راياتهم المشبوهة ولكنا نعرف حقيقة المعالجة بغير ما يفهمها حملة السلاح وطلاب مراتب الحكم.

وربما كان أسلوبنا بعيد المدى في البلوغ إلى الغاية المنشودة وهي السلامة في الدنيا والآخرة فلهذا لا يعشقه المندفعون ولا المنتفعون لكنا نسير في طريق السلامة بخطى ثابتة ووقورة ولنا سلف صالحٌ وأئمة هدى ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1] ، ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]

(1) سورة الأنعام: ٩٠.

وأكثر ما يدفع بنا للاستمرار في الإيضاح والبيان إنما هو تفسير المواقف الصحيحة وإبرازها على الملأ من الإخوان والأبناء والأحفاد ، وهم المطالبون لنا ومن غيرنا كشف الستار عما سكت عنه الآباء الأخيار .. بعد أن استغفل العديد منهم ومن ابنائهم ليقعوا فريسة الأطروحات الفتانة والشعارات الطنانة .. مما عتم الرؤية وشوش العلاقة وذفع بالجميع نحو ساحة الجدال المفضي الى العداوة والحقد والكراهية والبحث من جديد عن الذات والهوية ولكن وللأسف من حيث تمسخ الذوات والهويات ومن حيث تضطرب سفن النجاة في أمواج الطوفان العاتي .. وحق لنا أن نقول : (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**)[2] .

(1) سورة الشورى: ٢٣.

(2) سورة هود : ٤٢ .

المسالمون الشجعان .. والمحاربون الجبناء

أجمع المسلمون على أهمية القيم والأخلاق وآداب السلوك وصنفوا فيها المنظومات والمنشورات والرسائل، ودرَّسوها أبناءهم وبناتهم، وخَطَب بها الخطباء، وحَاضَر بها المحاضرون.

ولكنهم اختلفوا فيما بينهم عن حقيقة المعبر منهم في توجهه وسلوكه عن هذه الأخلاق، بل خرجوا من هذا الحد إلى التعدي على ذوات بعضهم البعض في وصف الجنوح والتجاوز والتحدي عند تفسير السلبيات فيما بينهم أو تقرير جدارة الحُكم والعِلم، فهذه مسألة لم يلتزم فيها العديد منهم الأدب ولا القيم.

ونحا قوم آخرون إلى تشويه حقائق الصالحين وأولياء الرحمن المتّقين يفسّرون ما يبدر منهم ويصدر عنهم بالإفك والزور والبهتان والتصنع والاستحضارات وما شاكل ذلك من وصف النقائض والنقائص.

والكل يعتقد السلامة في منهجه ومنطلقه بل ويرى الحق في تعديه على خصمه وعدوه، والخصومة والعداوة ليس كفراً ولا شركاً ولا مخالفة شرعية، وإنما هو تصور وهمي نسجه الخيال المعرفي كتهمة لتبرير مواقف التعدي باسم النصرة للدين والملة وسلامة المعتقد، إنه أمر يحير!!

أليس هؤلاء العلماء والمفكرون والدعاة هم حملة المنهج الخلقي المجمع على سلامته؟

أليسو هم المتحدثون عن الفضائل والآداب والقيم؟ أليسو هم المشرفون عليه في ترتيب مناهج المدارس والحلقات العلمية؟ لكن لماذا لا يجسدون الحياء والحشمة وحسن الظن مع من يخالفهم الفكرة أو المذهب أو المنهج؟ أوليس الاختلاف رحمة ومن وراء الاختلاف سرٌّ مقدَّر وحكمة؟ مَنْ يُجيب؟

ألسنا كلنا عند الإجابة نتلفع بالأمانة ونرتدي جلبابها، ونعلن عن استعدادنا أن نقول الحق ولا نقول غيره، ويصبح الحق من وجهة نظري ما أنا عليه وأصحابي، وتستثمر هذه المقولة حتى من حيث موقعها الشرعي يوم قالها رسول الله ﷺ عن معيار السلامة في مراحل التحولات، فيصبح المتكتلون ضد الحقيقة، والمستثمرون للشريعة، والمتقاسمون، مصالح المرحلة مع عدو الأمة يحملون هذا المعيار شعاراً لتضليل الشعوب، أليس كذلك؟ وهل هناك من يقول: نعم؟

كل شيء يتغير حتى سحنات الوجوه، لأن الأصابع تشير إلى ما حرص الكثيرون على إخفائه بمساحيق الدعاوي طيلة السنوات، إنها مشكلة، فالمتربّعون على ما يسمى بعرش القرار يحرصون على إنجاح أسباب الاستقرار، فيبذلون الغالي والرخيص إنما ليس من أموالهم لتذليل هذه العقبة، فيفتحون المدارس ويبنون

المساجد ويقيمون مظاهر العلم وخدمة الكتاب والسنة والعلوم الشرعية والنظرية والتطبيقية ويـسهمون في أعمال الخير ومشاريع التنمية للجميع، ولكن شرط الاستمرار أن لا يسأل أحد عن ماهية القرار؟

فالسؤال تدخل فيما لا يعني، وتجاوز لما يـسمونه بـالخط الأحمـر، والتنـاول لـه يغـير سـحنات الوجـوه وعبارات الألسن وينبش جراح القلوب، وتبرز أنياب الاعتداء والتحـدي ويتـصاغر كـل شيء أمـام هـذه الحالة.

لماذا يا سادة؟ لماذا يا قادة؟ ربما لأن هناك خللاً ما في سلامة امتلاك القرار، أو هناك علة محددة في ثوابت الأفكار، أو أن إثارة المسكوت عنه يفتح باباً لا يغلق من الحوار، وبعضهم يقول: الساكت عن الحق شـيطان أخرس، أو هو في حقيقته: حمار.

ويعتقد المتربصون بعقدة القرار أنهم حملة حل للمستقبل إن تـسنى لهـم امتلاكـه، وهـذه أيـضاً إحـدى مشاكلنا في المرحلة الاستسلامية، فكما يعيش المتربعون على عرش القرار حكماً وعلماً عقدة الامتلاك بجدارة أو بغيرها، فهناك في الظل يعيش المتربصون عقدة أشد فتكاً وهتكاً واستعداءً وفتنة.

وبين الجهتين ينشأ الوسيط المتبرع سمسار القضايا ومروج الفتن وموقد النار في القلوب والشعوب، إنه إبليس اللعين.

إن الشجاعة تقتضي التضحية، وربما تعود الناس التضحية بأرواحهم ليصبحوا شجعاناً في لغة الحـروب وشهداء في لغة الثواب، ومناضلين شرفاء في لغة الثورات، والله أعلم بالحقيقة.

ولكن الشجاعة التي قرأتها وقرأها كثير من سعداء الحظوظ أنها تضحية من نوع آخر، تـضحية بالـصنم المعبود ذاته، سبب المعركة وعامل الصراع وهدف الشجعان إنهـا عـروش القـرار، هـل سـمعتم عـن هـذا النموذج من الانتصارات، وهل قرأتم عن شجعان هذه المواقف؟ إنهم قلة من قلة، ولكنهم سـفن النجـاة، إنها الشجاعة التي لا يخترقها الشيطان لأنها ضد طموحه، من يعي هذه الجزئية؟

إن منهج الشيطان هو التحريش. والتحريش وقودُه التحدي ومركبـه الطمـوح وهدفـه القيـادة، وهـو ولوع بالصدر والصدور (**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**)، والصدر والصدارة هي بؤرة التـأثير وعنـصر الامتلاك ومن أجل امتلاك قرار الصدارة تأتي التـضحيات، ولأجـل الاسـتمرار في مركـز الـصدارة ينـدفع الجبناء لحماية صنم الامتلاك، ولابد أن تنشأ فلسفة الجدارة في كلا الجهتين: المتربعون والمتربصون.

ولم يسلم من هذه العلل غير سفن النجاة، شجعان التضحية بمركز القرار ذاته، ولأن هذه الشجاعة مخالفة لكل الأعراف والتقاليد والرغبات والشهوات فهي لا تستساغ إلا عند أولئك الشجعان وعندهم فقط، والسبب الرئيس في ذلك هو اختلاف هدف الطموح ومنشأ التوثيق للشجاعة.

فالإمام الحسن هدفه غير هدف الطامحين للامتلاك، لأن الطامحين للامتلاك لا يفكرون أكثر من عرش القرار، ولو على حساب إهدار دماء الشعوب وأموالها، فكانت شجاعته من نوع آخر: النظر إلى ما عند الله، وكان هذا هدف بعيد المحتوى ورفيع المستوى وثقه ﷺ بقوله: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين**».

فالشجاعة هنا إصلاح أمر الفئتين بالنزول عند رغبة المخالف المنازع، وأعظم من الشجاعة ذاتها تعميد هذا الصلح من رسول الله ﷺ بقوله: «**إن ابني هذا سيد**» أنه موقف سيادة، وليس موقف ضعف.

ولكن العقول المسلمة سابقاً ولاحقاً أبت هذه الشجاعة وسكتت عن إشهارها وإظهارها في محيط حلبات الصراع المفتعل، بل وتعمد البعض إغفالها والسكوت عنها حتى لا تصبح قاعدة تحتذى وسلوكاً يقتدى.

واستبدل المتربصون مواقف أخرى تشعل فتيل التحريش بين المصلين، وأولوا أحداثها اهتماماً رسمياً وشعبياً كي يحققوا به سياسة الانتقام وإسالة الدم الحرام ، وصارت هذه المواقف القتالية مدارس ولاء وبراء في قضايا آل البيت للمتربصين وقضايا تكفير وتشريك وتشويش للمتربعين والليالي حبالى بالمواقف المتناقضة تنتظر الفرج بإحدى الحالتين: إما الولادة الطبيعية بما فيها من المتناقضات، وإما الولادة القيصرية بأيدي سماسرة التحولات.

إن هذا الوصف المثبت على الأوراق وبهذه الصفة المبسوطة يجعلني لدى الكثيرين من الناس هدفاً وغرضاً ومصنفاً مع هذا وضد ذاك لأن ثقافة الامتلاك لا ترغب في تحييد أحد من العقلاء لئلا يكون حجة على مواقف الإفراط ولا على مواقف التفريط، أما الاعتدال فلا أحد يدين به، إلا إن عبر عن رغبات الملاك وحقق ذات المصلحة المحققة بالإفراط أو التفريط، إذن فالاعتدال من وجهة نظر الإسلام هو سلوك (سفن النجاة) وسلوك من حمل منهجهم الواعي لا غير، ومتى كان هذا المنهج الواعي يفعَّل بين الشعوب؟

لقد فرضت مدرسة التحريش نفسها على الأجيال من خلال سياسة القبض والنقض المتداولة في سوق العرض والطلب ولم تقف هذه المدرسة عند حد المتربعين والمتربصين فحسب، بل أعادت تشكيل الضحايا

من داخل (سفينة النجاة) ذاتها ليذوبوا في لعبة التسييس للقضايا العليا، ويتحولوا إل كتلة من كتل الصراع في الواقع المعلول، فالجميع قد اندرجوا ضمن الأطر ومن لا إطار له لا هوية له، ولكل إطار مساحة وموقع، والملاك يرعون الهوايات ويصدرون أوامرها وينعمون بها على الرعايا.

ولولا أن الإفصاح في هذا الأمر واجب لكان في السكوت عنه خير، والوجوب في الإفصاح يسهم في تصحيح فهم الحائرين داخل مجتمعاتنا القَلِقَة، لأن الغالبية يتجرعون الفهم السائد والصلة والعائد، وبهذا التصحيح تتحدد العماية في طلابها المنتفعين منها، أما عموم الأمة الراغبة في معرفة الحق فتتخذ الموقف المناسب.

كفاني هنا استطراداً، وسأكف القلم عن كتابة الوارد لأعود من حيث بدأت...

فالمسلمون حقاً أجمعوا على عظمة الأخلاق الإسلامية وحولوها من خلال المؤسسات إلى معلبات وشرائح وملصقات، وأنزلوها سوق العرض والطلب للفرجة والعرض، وكتبوا على أغلفتها: للإحاطة والاطلاع.

أما علاقاتهم اليومية وانتماءاتهم الفئوية والحزبية والتيارية والمذهبية والعرقية والطائفية، بل وحتى العائلية، فلا علاقة لها بهذه الأخلاق، لأنها أخلاق تسير بهم عكس تيار المغامرة، والربان الحاذق قد أبحر بهم في غواصة مغلقة نحو أعماق الظلام المجهول ﴿**يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء**﴾ محتنكاً لعقولهم وقلوبهم وهم غافلون بنفثاته ونزغاته ووساوسه كل الغفلة عن النداء الرباني الأزلي ﴿ **وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً**﴾[1]﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[2].

أعتقد – والله أعلم – أني لست بمتعدٍّ على أحد ولم أكتب كلماتي لإثارة ذات على ذات ولا مجموعة على أخرى، إلا أنني في محدود معرفتي أجزم أن كل جهة من جهات التعصب على أمرها تملك في موقفها نسبة من حقيقة إلا أن الإشكال في المعالجة أو طريقة الوصول إلى تصحيح خطأ الاخر، وهنا مكمن القعود من الشيطان ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[3] فالقعود أمر مقرر، وهو مدخل الشيطان على مفترق الطرق، طرق السلامة وطرق الندامة فإذا ما بلغت الأحوال إلى هذا المفرق بدأ الشيطان في تحريش

(1) سورة البقرة: ٢٦٨.

(2) سورة البقرة: ٢١٢.

(3) سورة الأعراف: ١٦

العواطف والعقول والصدور ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1] وما بعد هذا من شيء غير التصادم والنبز والشتم والبغضاء ومنها إلى التوتر والحرب والدماء، واتسعت المشكلة وتفاقمت وزادت حجج الفريقين قوة ومواقفهم تصلباً وقسوة، ولم يعد مرتفعاً غير صوت الثأر والنار وإشاعة القلق والموت والدمار، ولا حل للمشاكل المتراكمة غير ترحيل القتلى إلى الآخرة وإعادة كرة الانتقام كرة بعد أخرى وبين الكرة والكرة تنشط الحرب الباردة لضمان استمرار الانفعالات وبقاء عقدة الانتقام وتوسيع دائرة الحجج المحرضة للأجيال كي يظل ولاء الحرب والثأر والصراع ماثل للعقول والقلوب.

وإذا ما هدأ فرد أو جماعة أو جرى في مقدور الله قدر حصل به اجتثاث كلي للمشكلة كتغيير نظام أو تطور فكري اتسعت به مشاهد الأجيال، أعطى الشيطان للأجيال الجديدة من وقائع الحاضر واشتباكاته مفهوماً جديداً للتكتل كالحزبية والفئوية الدينية أو السياسية ليذوب فيها الأفراد والجماعات ويتحول الصراع إلى نموذج جديد من المصادمات البشرية تؤدي في كل الأحوال إلى القتل والدمار مع احتفاظ المجتمع بفيروسات الاختلافات التاريخية هادئة في نفوس الأفراد والأسر والعائلات والقبائل ليتداولون الانفعال بها ولأجلها بصورة محورية ذاتية مضطرين في الأوضاع المتحولة إلى السكون والذوبان الصوري في الواقع الجديد مستثمرين لمواقعه وقواقعه بهدوء وروية لمستقبل الصراع المنشود واليوم القادم المعدود، وهكذا دواليك، والنجاح كل النجاح لخطط الشيطان وسياسته المدمرة للإنسان، وفي هذا الأمر يقول أحد رجال (سفن النجاة) معبراً عن عصره ومن حوله من الأتباع والأشياع: «فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتم صوراً ولا عقول وأجساماً ولا أحلام، فراش نار، وذباب طمع، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن عنزة»[2].. هذا هو تعليل الإمام الحسن عن المجتمع الانفعالي الذي عاش فيه وتفاعل مع أفراده من شيعة محبين ومبغضين مغرضين.

إذن مَنْ هُم الشجعان الذين سلكوا مسلك الإمام الحسن وأشاعوا مطلبه الشجاع وحولوه إلى مدرسة مسندة؟ إنهم (سُفُن النجاة)، (رجال السلامة)، (دعاة النمط الأوسط).

---

(1) سورة الأعراف: ١٧.

(2) الإمام الحسن بن علي، التليد والطارف: ٣.

هؤلاء الذين عبّر عنهم الإمام علي ﷺ في قوله: «بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً»، ونحن ولله الحمد منهم ومن ذراريهم ولا فخر، وإنما الفخر بما نحن في صدده من نزع فتيل التحدي والتعدي ومخالفة ما يريد الشيطان أن يبثه في صفوف المصلين وإحياء مدرسة السلام والمحبة والرحمة من خلال المعاملة لا من خلال المجاملة، وأول عوامل هذا المطلب:

١- عدم المطالبة بالحكم وعدم الاشتغال بالمنازعة عليه لا من خلال التأييد لمواقف المحبين ولا من خلال المنافسة على امتلاكه بأساليب الانتخابات ومعارك الأحزاب وكتل الجماعات، وبديلنا عنه نشر الدعوة إلى الله، ومناصحة الجميع ما دام القرار يدور في أيدي المسلمين أنفسهم، وما داموا حريصين من أجله على التضحية بكل شيء حتى لا يخرج من أيديهم، مع تبصرتنا لمن أراد التبصرة عن مواقع الغثاء والوهن والاستتباع الذي وعد به سيد البرية ﷺ في جسد الأمة المتهالك.

٢- إعادة قراءة التاريخ الأبوي على أساس مطلب السلامة بدءاً من عهد صدر الإسلام إلى عصر الخلافة الراشدة الممتدة من عصر خلافة أبي بكر الصديق حتى تنازل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه، واعتبارها مراحل إسلام ووراثة بنيت على أسس صحيحة سليمة مع اعتبار وجهات النظر الأخرى ذات النظر في النصوص المشيرة إلى الوصاية وموقع آل البيت، وأن صرف الخلافة عنهم لا يلزم بالضرورة نفي سلامة الخلافة في الشيخين وسيدنا عثمان ﷺ، وتقف الحجج النصية وغير النصية متوقفة العمل بها تبعاً لموقف الإمام علي ﷺ وقبوله الصريح لمسألة الخلافة في غيره وتأكيده بهذا سلامة الاجتهاد في اختيار الخليفة، كما يؤخذ في الاعتبار موافقته ومشاركته الواعية في إدارة أمر العلم والحكم بسلامة الاستشارة منه ﷺ لأصحاب رسول الله ﷺ وتنتفي كافة الشبهات التي يديرها حملة منهج التحريش حتى اليوم بما تقرر وعلم من صرف النظر عن هذه الشبهات واعتبارها قضايا شخصية لا يستقيم عليها إبطال خلافة ولا عدالة صحابة، ولا يبرز الكلام فيها واتخاذها حجة على مرحلة الخلافة الراشدة لأن عصر الفتن والتحولات وخاصة بعد مقتل الإمام علي وتنازل الحسن ﷺ وبدء مرحلة المُلك العَضوض.

٣- خروج الإمام الحسين والإمام زيد بن علي وغيرهم من أئمة البيت على حكام الملك العضوض في مرحلتين الأمويين والعباسيين كان اجتهاداً مشروعاً لإعادة الأمر إلى نصابه كما رجّح ذلك أهل العلم، ولكن مجريات الأحداث أكدت سلامة منهج الإمام الحسن ومدرسة السلامة التي اختارها لنفسه ولذراري أهل البيت، وبها أخذ العديد من أثبات (سفن النجاة) ومنهم الإمام علي زين العابدين بن الحسين الذي كان ينبغي أن يكون هو أول المطالبين بثأر أبيه لو أن في المطالبة خيراً للأمة وللمسلمين وإذا كان الفرع

الوارث للحسين قد تجاوز مسألة الثأر ولم يجعلها لنفسه ولا لأهل بيته مطلباً فما الذي يجعل ذراري آل البيت يتخذون موقفاً من قضية دم الحسين وقد تجاوزها والدهم المقتدى، ومن سار بسيره منهم واهتدى؟

ومع هذا وذاك فموقف مدرسة السلامة لا يمنع مدرسة الإفراط وأشياع التعصب من منطلقات وعيهم وفهمهم للأمور وإنما تأبى تدويل القضية وتحويلها إلى طريق واحد لا ثاني له ولا مخرج منه ولا بديل عنه، فإن كان لهم في مواقفهم مندوحة شرعية فإن في موقف الإمام الحسن وعلي زين العابدين ومن قبلهما باب العلم علي بن أبي طالب موقفاً للسلامة أقوى وأشمل وأتم وأعم، وقد رأينا في تعصب المتربعين على عرش قرار الدعوة والعلم من مدارس القبض والنقض ما أكل الأخضر واليابس وأقلق القائم والجالس، ولكنها جعجعة ولا نرى طحناً، والأمة موعودة بالاستقرار ولكن بما هو مقدر من الخالق في علمه ونحن مأمورون بالاستمرار ولكن بما نهجه الأئمة المقتدى بفعالهم دون غيرهم طلباً للسلامة ورغبة في حفظ الدماء وصون الأعراض.

وهذا مجرد عرض لرؤية ذات أبعاد ربما احتاج البعض إلى معرفتها وصدق الإفصاح عنها، أما من ليست تعنيه ولا يجد فيها مطلباً يغنيه فكفاه ما هو فيه وعليه ولا نلزمه بها ولا نحاوره في سبيل الأخذ بنهجها ولا منهجها، فالطريق إلى السلامة ليست حكراً على وجهة نظرنا ولربما فسرها البعض أنها أيضاً ليست مقصورة على مواقف باب العلم وأبناءه وأحفاده، فالدين قائم بكتاب الله وسُنّة نبيه ﷺ، وقد وجد الكثيرون في هذين المعادلين عوضاً عن ما أخذ به أمثالنا وأشباهنا كما يعتقدون من النظر في الذوات والآباء والأجداد والأمهات، فكان لهم بديلاً مناسباً، والله حسيبهم فيما بلغوا إليه، وهو حسيبنا، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

فأسألك اللهم الثبات وجنبنا اللهم الوثبات، واكتبنا في الذين آمنوا وعملوا الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

تم الفراغ من التصنيف عصر يوم الاثنين ربيع الثاني ١٤٢٨هـ بمدينة أحور المحروسة

الفهرس